علم الدلالة

التأصيل والتفصيل

تأليف

حبيب بوزوادة

مراجعة

د. عبد القادر سلامي. جامعة تلمسان

د. أحمد عزوز. جامعة وهران

منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي - معسكر -

علم الدلالة

التأصيل والتفصيل

تأليف

حبيب بوزوادة

مراجعة

د. عبد القادر سلامي. جامعة تلمسان

د. أحمد عزوز. جامعة وهران

منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي - معسكر

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

2008/1428

رقم الإيداع: 2008-4800

ردمك: 978-9961-794-70-8

طباعة

مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر

19 شارع السكة الحديدية/ سيدي بلعباس/ الجزائر

الهاتف والفاكس: 048 546607

الهاتف 040 411796

المحمول 073 394265

إهـــداء

إلى والديّ.....

تحية عرفان وتقدير

كلمة شكر

لا يسعني وقد ظهر هذا العمل إلى النور إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء الجميل لراعي هذا البحث والمشجع عليه:

الأستاذ الدكتور عبد القادر خالدي

مدير المركز الجامعي بمعسكر الذي هيّأ ظروف الطباعة والنشر، مصداقا وتحقيقا للأثر النبوي الشريف: "**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**" رواه الإمام أحمد.

تصدير

بقلم الدكتور مختار حبار

أستاذ البلاغة والأسلوبية بجامعة وهران

الأستاذ حبيب بوزوادة واحد من طلبتي الجادين المجتهدين الذين أنجزوا بحوثهم في مشروع الخطاب الأدبي في الجزائر، وحازوا فيه على شهادة الماجستير بدرجة مشرفة، وكان عنوان بحثه: منابع الصورة الأدبية في شعر ابن عمّار، وهو البحث الذي نتمنى أن يجد طريقه إلى النشر في سوق الكتاب، حتى يفيد منه ومن منهجه القراء بعامة، وطلبة الدراسات العليا بخاصة، وقد واصل الأستاذ حبيب بوزوادة نشاطه العلمي في المشروع المذكور نفسه، فهو الآن عاكف على بحث فيه بعنوان: مرجعية الخطاب الشعري القديم في الجزائر الذي يتقدّم به لنيل شهادة الدكتوراه، والذي نتمنى له فيه التوفيق كلّه.

الأستاذ حبيب بوزوادة يجمع في توجهه العلمي بين الأصالة والمعاصرة، وبين التراث والحداثة، فهو وإن كان اختار ثابتا ثقافيا تراثيا من ثوابت وطنه، ليجعل منه موضوعا للدراسة، فإنه اختار أيضا أن يكون حداثيا، في توسله بالمناهج الحداثية، والأدوات الإجرائية المعاصرة، كالأسلوبية والسيميائية، ومنجزات الدرس اللساني، ليجعل منها طرائقه المتغيّرة، المسايرة لركب المنجزات

المنهجية الحديثة، وذلك لتحيين بحوثه حتى ولو كانت ثوابتها تراثية وضاربة بجذورها في أعماق التاريخ الثقافي الوطني.

ومما لا شك فيه، أن هذا التوجه المنهجي المزدوج، الذي جمع فيه صاحبه بين الأصالة والمعاصرة، هو الذي هداه اليوم، إلى الإقبال على البحث والكتابة، في موضوع من مواضيع الساعة، خاض فيه القدماء في العربية طرائق قددا، ونهض به الغربيون فزادوه مددا، وهو موضوع علم الدلالة، وما أدراك ما علم الدلالة! وهل أتى عل الإنسان حين من الدهر لم يكن هو نفسه دلالة وباحثا عن دلالة له وجودية؟

لقد جمع الأستاذ حبيب بوزوادة، في قراءته لعلم الدلالة، بين ما كتبه فيه علماء العربية، أمثال الشريف الجرجاني في كتاب التعريفات، وعبد الرحمن بن خلدون في المقدمة، والشوكاني في كتابه إرشاد الفحول، والزمخشري في تطبيقاته في كتابه الكشاف، وعبد الرحمن السيوطي في كتابيه الإتقان والمزهر، والجرجاني هبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز، وغيرهم، وبين بعض ما كتبه علماء الغرب، أمثال بيير جيرو في كتابه علم الدلالة، وجان كوهين في كتابه بناء لغة الشعر، وجوليا كريستيفا في بحثها الدلائلية، ويوري لوتمان في كتابه تحليل النص الشعري، ودي سوسير في كتابه اللسانيات العامة، وغيرهم، ليفيد الباحث من كلّ

ذلك، ويخرج منه ملخصا مفيدا في علم الدلالة بعنوان علم الدلالة: التأصيل والتفصيل.

وقد غطى الباحث بفصول كتابه، جلّ مباحث علم الدلالة، إذ خصّص لنشأة هذا العلم وتطوره التاريخي فصلا، وخصص لعلاقة علم الدلالة بعلوم اللغة فصلا ثانيا، ولعلاقة علم الدلالة بالعلوم الإنسانية كعلم النفس وعلم الاجتماع فصلا ثالثا، ثمّ عقد فصولا أخرى اهتمّت بعلم الدلالة لذاته، مثل تقسيم الدلالة إلى وحداتها الدالة، وإشكالية التعدد الدلالي وتغيّره وتطوره وفق الأحوال والأزمان، دون إغفال منه في الإلمام بأهم نظريات التحليل الدلالي الحديثة.

وإذا كان هذا العمل على ما هو عليه، مفيدا لقرائه بوجه عام، ولطلبته في طوري التدرّج وما بعده بوجه خاص، فإنني أهيب بالباحث أن يجعل وكده في تطوير بحثه تطويرا مستمرا في الطبعات المقبلة، يلامس في تطويره جوانبه النظرية بمزيد من صرامة الحد والتوثيق، وجوانبه الإجرائية بمزيد من السعة والإثراء، وجوانبه التراتبية بمزيد من الدقة والتنظيم، متمنيا لك يا حبيب في كل ذلك كلّ التوفيق والسداد، "**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**".

جامعة وهران في 22 ماي 2007

مقدّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلّم على محمد وعلى آله وبعد؛ فإن علم الدلالة يعد من أهم علوم اللسان إن لم يكن أهمّها، لأنه يختلف عن تلك العلوم في كونه يبحث جوهر الكلمات ومضامينَها، فيما تبحث العلوم الأخرى في أشكالها وهيئاتها، ولذلك فإنه حظي بالأهمية منذ أن وضعه عالم اللغة الفرنسي ميشال بريال في القرن التاسع عشر، بل وقبل هذا التاريخ بكثير ضمن اختصاصات متنوعة وفي مختلف الثقافات الإنسانية، لأن البحث في دلالة الألفاظ ليس مرتبطا بتاريخ معين، وإنما يساير اللغة بعيدا عن الزمان والمكان، فنفترض أن يكون البحث الدلالي قد بدأ ولو بشكل بسيط جدا وساذج مع بداية اللغة.

وبظهور اللسانيات ومن خلال جهود دوسوسير الموفقة استطاع علم الدلالة أن يستفيد من عطاءات علم اللغة البنوي بالتركيز على الصيغة اللغوية عبر المحورين الآني والتطوري، مما أحدث الوثبة المنتظرة في الدرس الدلالي، فتوالت النظريات تِباعاً تناقش قضايا المعنى والقوانين المتحكمة في إنتاجه، وفي هذا الاتجاه ظهرت مؤلفات عربية تشرّح الظاهرة الدلالية مستعينة بالتنظير اللساني

الغربي وبالموروث اللغوي العربي القديم يأتي على رأسها دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس، وعلم الدلالة للدكتور أحمد مختار عمر.

وبالرغم من هذه الجهود المشكورة وغيرِها إلا أن البحث في علم الدلالة ما يزال خصبا قابلا للدرس والبحث، وهو ما حاولنا أن نقوم به من خلال هذا الجهد المتواضع، لعلنا نفلح في تقريب المسائل الدلالية للطلبة ولمن كان محتاجا إليها من أمثالنا، فسعينا لأن نجعل هذا البحث في المتناول من خلال تبسيط المفاهيم أو انتقاء البسيط منها والميسّر لعلنا نفلح في تقويض مساحة الغموض الناشئ غالبا عن الاعتماد عَلى المصادر الغربية بما في ذلك أمثلتها وشواهدها مما يجعل لغة الكتابة غريبة على القارئ، فلا يستطيع مسايرة تلك اللغة ولا استيعاب شواهدها بشكل كامل، فعلم الدلالة يفرض على الدارس إلماما بتاريخ اللفظة منذ نشأتها، وهذا ما لا يتيسّر لعموم الدارسين، فاستبعدنا من كتابنا الشواهد الغربية –إلا في النادر– واستبدلنا بها شواهد من الذخيرة العربية، وفي الجهة المقابلة فإننا حاولنا أن لا نتخذ الألفاظ العربية القديمة التي لم تعد شائعة أمثلةً في هذا الكتاب إلا عند الضرورة، لأن المنهج الذي اختطناه لأنفسنا هو التيسير قدر الإمكان، مستعيضين عنها بألفاظ متداولة ألفتها الأسماع وترددها الألسن.

ولقد حاولنا أن يكون هذا الكتاب جامعا لأشتات المعرفة

الدلالية لا يميّز بين جهود العرب والغربيين القدامى منهم أو المعاصرين إلا بمقدار ما قدموه من أفكار تخدم الغرض الذي وضعنا من أجله الكتاب، كما لفتنا النظر كلّما دعت الحاجة إلى آراء اللغويين العرب ومدى سبقهم في مناقشة القضايا الدلالية التي يبدو بعضها من وضع غربي خالص كما في اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول ومفهوم العلامة اللسانية والحقول الدلالية وغيرها من المسائل من غير تكلّف في إثارتها ولا شطط بل بموضوعية وتجرد قدر الإمكان.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف وغيرها قمنا بتوزيع المادة عبر مقدمة وثمانية فصول:

الفصل الأول: **نشأة علم الدلالة: المسار التاريخي التطوري**، وحاولت فيه أن أثبت أنّ البحث في القضايا الدلالية ليس وليد الدراسات اللسانية الحديثة وإنما هو ممتد في الزمان والمكان، لذلك جاء هذا الفصل راصدا لأهم الجهود الدلالية بدءا بالهنود فاليونان فالرومان إلى العرب وأخيرا الانطلاقة الحقيقية لعلم الدلالة على يد ميشال بريال، ثمّ عرّفت علم الدلالة والدليل اللساني باعتباره الوحدة الأهم في الدراسات الدلالية، ولما كانت للعرب في عصروهم الذهبية جهودٌ جبارة تقترب من الأبحاث اللسانية الغربية المعاصرة خصّصت لذلك موضعا أبيّن فيه بشكل مقتضب الإسهامَ العربي في البحث الدلالي.

الفصل الثاني: **علم الدلالة وعلوم اللغة**، وفيه تأكيد لما ورد في أول هذه المقدمة، من أن علم الدلالة يمثّل الحاضر الدائم في باقي العلوم اللغوية كالأصوات والنحو والصرف والبلاغة، منطلقا من فرضية أن الدلالة أو المعنى هي مطلب سائر العلوم، وهي السبب في نشأة معظمها كذلك.

الفصل الثالث: **علم الدلالة والعلوم الإنسانية**، وأقصد بها العلوم التي تقترب من علوم اللغة، أو التي يصح أن تكون أدواتٍ للدراسات اللغوية، كعلم النفس وعلم الاجتماع، ساعيا لأن أركز الجهد على منطقة الالتقاء بينها وبين علم الدلالة، ومدى استفادة كل منها من الآخر، على اعتبار أن اللغة ظاهرة نفسية وظاهرة اجتماعية في الوقت نفسه.

الفصل الرابع: **الوحدات الدلالية**، وفيه بحث لمكونات الدلالة سواء الكلمة أو الوحدات الأخرى الأقل منها أو الأكبر، من التي بإمكانها أن تسهم في تشكيل المعنى.

الفصل الخامس: **مشكلة المعنى وتعدد الدلالات**، وتعرّضت فيه للأشكال المختلفة التي تتخذها الدلالة في علاقتها مع الدلالات الأخرى وركّزت على الأساسي منها كالمشترك اللفظي، والتضاد، والترادف، لأنتقل في نفس الفصل إلى أنواع المعنى، ثم إلى أقسام

الدلالة باعتبار طبيعة العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول وهو تقسيم المناطقة، أو باعتبار الواضع لها وهو تقسيم الأصوليين.

الفصل السادس: **التطور الدلالي**، وتكمن أهمية هذا الفصل في كونه يثبت بما لا يدع مجالا للشك فاعلية اللغة وقدرتها على مواكبة التطورات الاجتماعية والثقافية والنفسية وغيرها، فذكرت أهم أسبابه وأبرز تجلياته ومظاهره موضحا كلّ ذلك بالأمثلة والشواهد البيّنة المتداولة في الغالب الأعم.

الفصل السابع: **نظريات التحليل الدلالي**، وفيه عرض لأهم النظريات الدلالية الحديثة (الإشارية والتصورية والسلوكية والسياقية والحقول الدلالية)، وتعريف بمبادئها وأصولها وأعلامها وجهودها في البحث الدلالي.

الفصل الثامن: **السيميائية**، جعلتها في نهاية البحث لأنها تمثّل البحث عن الدلالات فيما وراء اللغة، حينما تصبح اللغة جزءا من منظومة علامات دالة أكبر وأكثر، فأشرت إلى أوليات هذا العلم وموضوعه وأهميته وأبرز أعلامه.

هذا وإني أعترف ابتداءً أن في هذا البحث - كما في كل عمل بشري- قصوراً لا أعرفه، فالله يأبى العصمة إلا لكتابه الكريم، فمن وجد فيه عيبا فلينصح للكاتب متمثلا قول العماد الأصفهاني: " إنيّ

رأيت أنّه لا يكتب الإنسان كتابا في يومه إلاّ قال في غده، لو غيّر هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولوترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النّقْص على البشر".

ثمّ إني أتقدم بالشكر خالصا للأستاذين الكريمين الدكتور **أحمد عزوز** والدكتور **عبد القادر سلامي** لقبولهما مراجعة هذا العمل، كما أزف آيات الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور **مختار حبار** الذي شجّع الكاتب وقَبِل بتواضع أن يكتب مقدمة لهذا الكتاب.

ولن أنسى في هذا المقام كل من ساهم في إنجاز هذا البحث ولو بالقسط اليسير، وأولهُم أفراد أسرتي لصبرهم عليّ وأنا مختلٍ بنفسي أعكف على تسويد هذه الصفحات، وأخيرا أرجو أن يكون هذا العمل لبنةً في صرح الدرس اللساني العربي بعامة والدلالي بوجه خاص، وأن يدّخره الله لي في ميزان الحسنات عنده، والله الموفق وهو يهدي السبيل.

معسكر: 2007/05/07م - 1428/04/19هـ

الفصل الأول:
نشأة علم الدلالة: المسار التطوري التاريخي

يجمع الباحثون على أن الاهتمامات الدلالية حديثة النشأة، أما البحث اللغوي فقديم يعود إلى أول نظام كتابي عرفته الإنسانية، وليس من همنا أن نعرض للجهود الدلالية عند القدماء، إنما يقتصر عرضنا على صورة موجزة لأهم العناصر الدلالية في البحث اللغوي عند الهنود، اليونان، العرب، العبريين بعد وقبل ميشال بريال (M.BREAL).

1.الهنود: كان كتابهم الديني (الفيدا VEDA) منبع الدراسات اللغوية والألسنية التي قامت حوله، ومن ثمة غدت اللسانيات الإطار العام الذي اتخذت فيه اللغة مادة للدراسة والبحث التطبيقي من دون عناية كبيرة بالمسائل النظرية، فلقد درس الهنود مختلف الأصناف التي تشكل عالم الموجودات، وقسموا دلالات الكلمات بناء على ذلك إلى أربعة أقسام:

1- قسم يدل على مدلول عام أو شامل (مثل لفظ: رجل)
2- قسم يدل على كيفية (مثل كلمة: طويل)
3- قسم يدل على حدث (مثل الفعل: جاء)

4- قسم يدل على ذات (مثل الاسم: محمد)[1]

2.اليونان: كان لليونان أثرهم البين في بلورة مفاهيم لها صلة وثيقة بعلم الدلالة، وإليهم يرجع الفضل في تطور المباحث اللغوية، وبخاصة اعتناءهم ببنية اللغة ونشأتها وصلتها بالإنسان، وقد ارتبط التفكير اللغوي لديهم بالفلسفة والمنطق خلافا للمدرسة الهندية، فجرت محاورات بين أفلاطون وأستاذه سقراط حول موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه، وكان أفلاطون يميل إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال ومدلوله.

أما أرسطو فكان يقول باصطلاحية العلاقة، وذهب إلى أن قسّم الكلام إلى كلام خارجي وكلام داخلي في النفس، فضلاً عن تمييزه بين الصوت والمعنى معتبراً المعنى متطابقاً مع التصور الذي يحمله العقل عنه. وقد تبلورت هذه المباحث اللغوية عند اليونان حتى غدا لكل رأي أنصاره من المفكرين فتأسست بناء على ذلك مدارس أرست قواعد مهمة في مجال دراسة اللغة كمدرسة الإسكندرية والمدرسة الرواقية،[2] يقول د.أحمد يوسف: "لقد قسم الرواقيون الفلسفة إلى الأخلاق والعالم الطبيعي والمنطق، وقسموا المنطق إلى

---

[1] د.أحمد مختار عمر، علم الدلالة ص19.

[2] الرواقيون (stoiciens) ينتسبون إلى زينون القيسيوني (ت244ق.م) ربطوا المسائل اللغوية بالفلسفة.

البلاغة والجدل، والجدل إلى نظريتي المدلول والدال"[1].

3.الرومان: كان لعلماء الرومان جهد معتبر في الدراسات اللغوية خاصة ما تعلق منها بالنحو، وإليهم يرجع الفضل في وضع الكتب المدرسية التي بقيت صالحة إلى حدود القرن السابع عشر بما حوته من النحو اللاتيني، وبلغت العلوم اللغوية من النضج والثراء مبلغاً كبيراً في العصر الوسيط مع المدرسة السكولائية[2] والتي احتدم فيها الصراع حول طبيعة العلاقة بين الكلمات ومدلولاتها، وانقسم المفكرون في هذه المدرسة إلى قائل بعرفية العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها وقائل بذاتية العلاقة.

4.العرب: بدأ الفكر العربي بالاهتمام بالمعاني اللغوية في سنوات القرآن الأولى، واتخذ البحث الدلالي في ذلك العهد أشكالا لا تخرج عن ماهية الكلمة ودلالتها، وكان أول بحث يلفت النظر ويمكن أن يدرج ضمن هذه الأنساق المعرفية ما يسمى بمسائل نافع بن الأزرق التي ارتكز الكلام فيها على حصر معاني كلمات تبدو موغلة في الدلالة، بالاعتماد على شواهد الشعر "ديوان العرب" والتي تولّد عنها بحث غريب القرآن فيما بعد، لترتسم معالم البحث الدلالي لاحقا في التراث العربي.

---

[1] د.أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة ص26.

[2] السكولائية: الفلسفة المدرسية أو الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى.

إن هذه المسائل وغريب القرآن لا يقتصران على معرفة دلالات الكلمات فحسب، وإنما عمّت تلك البحوث قضايا دلالية أخرى من قبيل الدخيل والمعرّب والمترادف والمشترك اللفظي والمجاز، ليتحوّل البحث الدلالي فيما بعد إلى جزء من المباحث اللغوية عند المفسرين والمعجميين وعلماء الحديث وعلماء الأصول والفلاسفة والمتكلمين.

نماذج من مسائل نافع بن الأزرق:

قال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا نسأل هذا المجترئ على القرآن، فقاما وسألا عبد الله بن عباس، فكان مما سألاه عنه: «عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمَالِ عِزِيْن»[1] قال ابن عباس رضي الله عنه: العزون حلق الرفاق، فقالا له: وهل تعرف العرب ذلك؟ فقال: جاء في شعر عبيد بنْ الأبرص:

فجاؤوا يَهْرَعُونَ إِلَيهِ حتَّى يكونوا حول مِنْبَرِهِ عِزِينَ

كما سألا عن الوسيلة في قوله تعالى: «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيْلَةَ»[2] فقال ابن عباس: الوسيلة: الحاجة، جاء ذلك في شعر عنترة:

إن الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيْلَةٌ إِنَّ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وتَخَضَّبي

---

[1] سورة المعارج الآية 37.

[2] سورة المائدة الآية 37.

قال فأخبرني عن قوله تعالى: "كُلَّمَا خَبَتْ"[1]، قال الخبو الذي يُطفأ مرة، ويسعّر أخرى، أما سمعت قول الشاعر:

وتَخْبُو النَّارُ عَنْ آذَانِ قَوْمِي وأَضْرِمُهَا إِذَا ابْتَدَرُوا سَعِيْرا[2]

5.ميشال بريال وعلم الدلالة الحديث:

إن ظهور علمٍ يدرس المعاني مستقلٍ عن علم اللغة يعود الفضل فيه إلى العالم اللغوي الفرنسي ميشال بريال (M.Breal) الذي دعا بشكل واضح سنة **1883**م إلى تبني علم جديد لا يهتم بشكل الكلمات ومادتها، وإنما يعتني بالمعنى، فأعلن ذلك صراحة في كتابه (Essai de Sémantique) الذي بسط فيه القول عن ماهية علم الدلالة، وأرسى منهجاً جديداً في دراسة المعنى: "إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تُسَمَّ بعد، نعم، لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات، وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنتظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أن هذه الدراسة تستحق اسماً خاصاً بها، فإننا نطلق عليها اسم "Sémantique" للدلالة على

[1] سورة الإسراء الآية 97.

[2] السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص174، وتبلغ تلك المسائل مئة وتسعين مسألة.

علم المعاني".[1]

إن أفكار بريال برغم أهميتها لم تلق الصدى ولا الترحيب المطلوبين حتى سنة **1923**م تاريخ إصدار العالمين اللغويين الإنجليزيين (أوجدن وريتشارد) كتابهما معنى المعنى الذي أحدث في حينه ضجة في الدراسة اللغوية، وفيه تساءل العالمان عن ماهية المعنى من حيث هو عمل ناتج عن اتحاد وجهي الدلالة أي الدال والمدلول.

ماهية علم الدلالة:

إن مصطلح (Sémantique) مشتق من الأصل اللاتيني (Sema) بمعنى إشارة أو علامة، وقد أطلقه اللسانيّون وأرادوا به دراسة العلامات، سواء أكانت رموزا لغوية أم غير لغوية، أما علماء الدلالة فأرادوا بالمصطلح **دراسة الظواهر اللغوية من خلال البحث عن القوانين التي تشرف على تغيّر المعاني ومُعاينة الجانب التطوري للألفاظ اللغوية ودلالاتها**، أو "**هو الدراسة العلمية المنظمة والمحكمة لعلم المعنى**".[2]

ولقد آثر العرب استخدام مصطلح (علم الدلالة) أو (الدلاليات)

1- Les grands courants de la linguistique moderne. Le roy Maurice. p.46. نقلا عن د.عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه ص45.

2 د.عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة ص518.

مقابلا للمصطلح الأجنبي (Sémantique) لأنه يعين على اشتقاقات فرعية مرنة نجدها في مادة (د.ل.ل): الدال، المدلول، المدلولات، الدلالات، الدلالي... أما مصطلح (المعنى) الذي اقترحه بعض الدارسين فإنه يتداخل مع علم المعاني وهو أحد فروع علم البلاغة، ومما يعنيه لفظ (دلّ) في اللغة الإعلام والإرشاد والإشارة والرمز، وبهذا ورد في القرآن كما في قوله تعالى: "قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى"[1].

وقوله تعالى حكاية عن غواية الشيطان لآدم وزوجه: "فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ"[2] أي أرشدهما إلى الأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها، فإشارة الشيطان دال، والمفهوم الذي استقر في ذهن آدم وزوجه مدلول (محتوى الإشارة).

وقوله سبحانه حكاية عن قصة موسى عليه السلام "وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ"[3].

وتبرز العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول في سورة الفرقان "أَلَمْ

---

[1] سورة طه الآية 120.
[2] سورة الأعراف الآية 22.
[3] سورة القصص الآية 12.

تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيْلًا"[1].

كما تتمثل ثنائية الدال والمدلول في قوله تعالى: "فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِيْنِ"[2]، فالدابة وأكلها للعصا دال، وهيئة سليمان وهو ميت مدلول، والملاحظ على معاني مادة (د.ل.ل) في القرآن أنها لا تبتعد كثيرا عن المصطلح العلمي للدلالة الحديثة.

الدليل اللغوي (le signe linguistique):

يمثّل الدليل اللغوي المنطلقَ الأساس في الدراسات الدلالية والعنصر الأهم من عناصر اللغة، يقول جان كوهين: "إن اللغة تتكون من جوهرين، أي من حقيقتين توجد كلٌّ منها في ذاتها ومستقلة عن الأخرى، وهما الدال والمدلول (Signifiant et Signifié) كما يقول دوسوسير، والتعبير والمحتوى (Expression et Contenu) كما يقول هيلمسلف.. والدلالة تعني وجود مصطلحين يرسل أحدهما إلى الآخر، ومنهج الإرسال هو الذي يكوّن ما نسميه الدلالة

[1] سورة الفرقان الآية 45.
[2] سورة سبأ الآية 14.

(Signification)"[1]، فعند سماعنا لكلمة "شجرة" مثلا ينطبع في الذهن "أثرٌ" يسمى الصورة السمعية (image acoustique) أو الدال، والفكرة التي تكوّنها عقولنا عن هذا الأثر هي المفهوم (concept) أو المدلول، "والعلاقة التي تربط بينهما علاقة نفسية، والمعنى هو هذه العلاقة النفسية التي تربط بينهما"[2]، بمعنى أن العملية برمتها نفسية تتم على مستوى ذهني.

ويرى دوسوسير أن الفصل بين الدال ومدلوله مستحيل عمليا، وما التفريق بينهما إلا لدواع منهجية، لذا فإنه يشبّههما بوجهي الورقة اللذين إن مزّقنا أحدهما تمزّق الثاني حتما.

ونشير هنا إلى أن لابن سينا رؤيةً للدليل اللغوي لا تختلف عن رؤية دوسوسير، فقد قال: "ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموعُ اسم، ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفسُ أنَّ هذا المسموعَ لهذا المفهومِ، فكلّما أورده الحسُّ على النفس التفتت إلى معناه"[3]، ويمكن أن نلاحظ مدى التطابق بين الرأيين من خلال هذا الشكل:

---

[1] جان كوهين: بناء لغة الشعر، ترجمة د.أحمد درويش ص39.

[2] د.صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو ص26.

[3] د.أحمد حساني: مباحث في اللسانيات ص142.

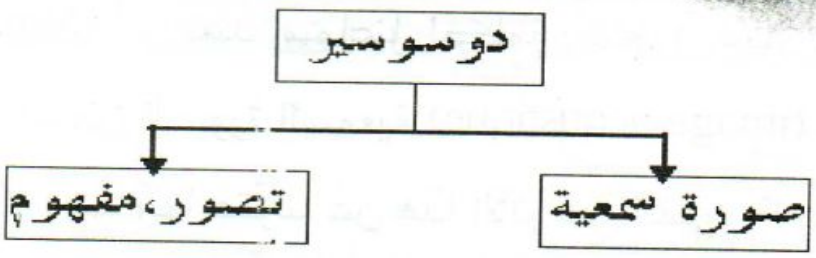

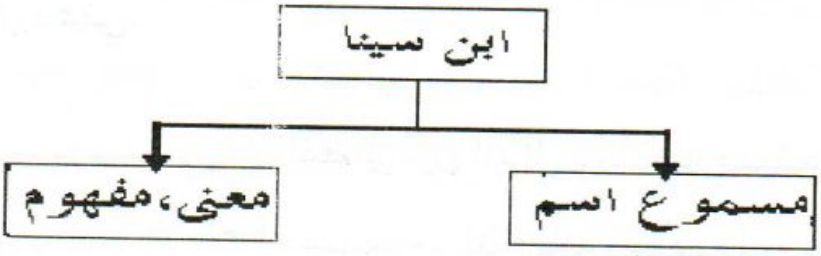

ويعتقد بيير جيرو أن العلاقة التي تربط بين الدال والمدلول بإمكاننا أن ننظر إليها عبر ثلاث مستويات فيقول: "هذا النوع من الدرس هو درس نفسيٌّ في الوقت نفسه، ومنطقيٌّ، ولسانيٌّ بالمعنى الدقيق: إنه **نفسي** لأن الدال والمدلول صورتان عقليتان مشتركتان، وهو **منطقي** لأنّ من وظيفة الدال أن يتحرى هوية المفهوم وأن يستدعيه، ثم ينقله بعد ذلك دون تشويه له أو خلط، وأخيرا هو **لساني** لأنّ الإشاراتِ المكوِّنةَ لنظام الرموز ذاتُ طبيعة خاصة وهي اللغة"[1]

[1] بيير جيرو: علم الدلالة ترجمة منذر العياشي ص39.

ومن الواضح أنّ كلاً من ابن سينا ودوسوسير يكتفي بالدال (مسموع اسم) والمدلول (مفهوم) باعتبارهما الطرفين الوحيدين في العلامة اللسانية، بيد أننا نجد عددا غير قليل من الدارسين يعد المرجع طرفا أساسيا، ومن هؤلاء الغزالي الذي يرى العلامة اللغوية رباعية الأقطاب، حيث يقول: "إنّ للشيء وجودا في الأعيان، ثمّ في الأذهان، ثمّ في الألفاظ ثمّ في الكتابة، فالكتابة دالةٌ على اللفظ، واللفظ دالٌ على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثالُ الموجود في الأعيان"[1].

فالمتأمل لكلام الغزالي يجد فيه استقراءً لظاهرةٍ غايةٍ في الأهمية، وهي تراتبية مكونات الدليل اللغوي التي تنتقل من الأكثر بساطة إلى الأكثر تعقيدا، من خلال الانتقال من العالم الحسي، إلى العالم الذهني، إلى العالم الرمزي بشقّيه اللفظي والكتابي، وهذه رؤيةٌ متطورةٌ جدا إلى العلامة اللغوية مقارنة بالعصر الذي انبعثت فيه، خصوصا إذا علمنا أن نظريةً شبيهةً بها ظهرت بعد قرون منها أحدثت ضجة كبيرة في الدراسات اللسانية وهي نظرية أوجدن وريتشاردز (Ogden et Richards) الثلاثية الأطراف (الدال/ المدلول/ المرجع)، "حيث أشارا إلى أهمية التحليل المزدوج الذي يتناول

[1] ينظر د.أحمد حساني: مباحث في اللسانيات ص143.

العلاقة بين الكلمات والأفكار من جهة، والأشياء المشار إليها من جهة أخرى"[1].

ويمكننا أن نعقد مقارنة بين فكرة الغزالي وفكرة أوجدن وريتشاردز من خلال الشكل التالي:

عناصر الدليل اللغوية عند الغزالي

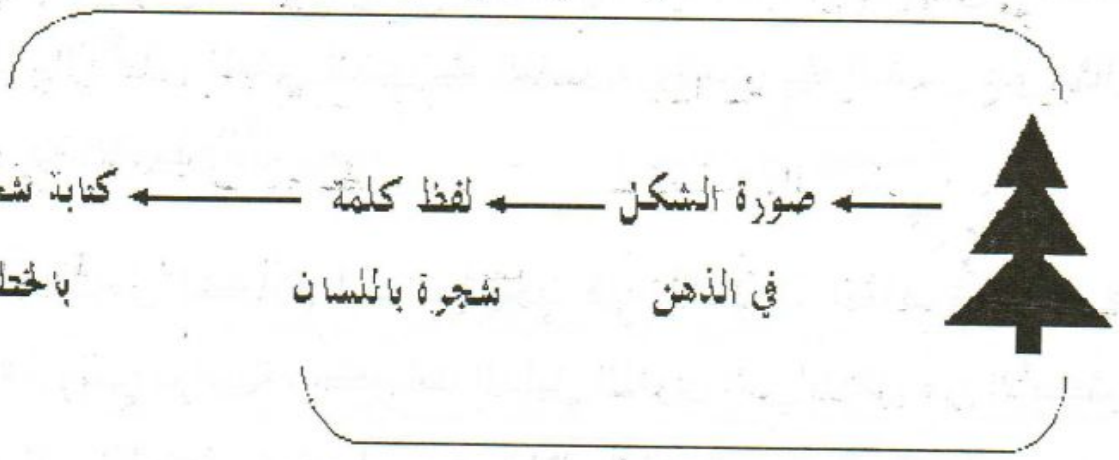

عناصر الدليل اللغوي عند أوجدن وريتشاردز

جهود اللغويين العرب في الدراسات الدلالية:

رغم أن علم الدلالة نشأ فرنسيا في أواخر القرن 19م إلا أن البحوث الدلالية العربية عرفت النضج قبل هذا التاريخ بكثير، فمنذ القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية بحث العلماء العرب طبيعة العلاقة بين اللفظ والمدلول من جهاتها المختلفة النقدية والبلاغية

[1] المرجع السابق ص144.

واللغوية (الغريب).

إن هذا التأصيل والبحث الدلالي المكتمل لم يأت فجأة، وإنما تولد عبر تراكمات معرفية تبلورت عبر الزمن ، في هيئة رؤية دلالية عربية ساهم فيها كل عالم بنصيب:

1.الخليل بن أحمد الفراهيدي (175 هـ): لا شك في أن الخليل قد أفاد الدارسين العرب في مباحث معجمه الأصيل (العين)، حين بحث في تراكيب الكلمات انطلاقا من الجذر البنوي، ومن ثم تقسيمه إلى ما يحتمله من ألفاظ مستعملة، وأخرى مهملة لدى تقليبه الحروف في التركيب، ومن ثم إيجاد القدر الجامع بين المستعمل منها في الدلالة، والمهمل بدون استعمال.

وقد كان الخليل هو الرائد الأول لهذا الباب بهذا العمل البعيد عن تفريعات المحدثين، لأن مهمته كانت لغوية إحصائية ولكنها على كل حال تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون عن قصد أو عن غير قصد وقد أفاد من ذلك كثيرا سيبويه (**180 هـ**) كما يتضح من استقراء الكتاب.

2. أبو عثمان الجاحظ (255 هـ): أما الجاحظ فحينما يتحدث عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام وهي حالة بلاغية إنما يتحدث

عما يحدثه المعنى لدى السامع من فهم بدون أن يتعدى المتكلم حدود دلالة الألفاظ. فيقول: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»[1].

وهو بهذا يريد أن يتحدث عن ضرورة تناسب الدلالة مع أبعادها المخصّصة لها (أقدار المعاني، أقدار المستمعين، أقدار الحالات) فلا تتعداها، وهذا ما يطلق عليه البلاغيون: مطابقة المقال لمقتضى الحال أو مطابقة الكلام لمناسبة المقام.

3.أحمد بن فارس (395هـ): يعد بحق صاحب نظرية في دلالة الألفاظ، فكتابه **معجم مقاييس اللغة** يعنى بالكشف عن الصلات القائمة بين الألفاظ والمعاني في أكثر من وجه، ويشير إلى تقلبات الجذور في الدلالة على المعاني، ويستوحي الوجوه المشتركة في معاني جملة من الألفاظ، وكتابه **الصاحبي** في فقه اللغة ينطلق إلى الدلالة، فيشير إلى مرجعها ويحدده في ثلاثة محاور، هي المعنى والتفسير والتأويل، وهي وإن اختلفت فإن المقاصد منها متقاربة، ويشير إلى دلالة المعاني في الأسماء باعتبارها سمات وعلامات دالة على

1 الجاحظ: البيان والتبيين (139/1).

المسميات، كما تعرّض إلى تنوّع الدلالات وأقسامها بالشكل الذي حدّده علماء المنطق.

ومن المباحث الدلالية التي ناقشها ابن فارس دلالة تسمية الشيء الواحد بالأسماء المختلفة؛ كالسيف والحسام والمهنّد.. ويقرر مذهبه أن كلّ صفة من هذه الصفات معناها غير معنى الأخرى، وكذلك الحال بالنسبة للأفعال فيما يُتوهّم من دلالتها على مدلول واحد وهو مختلف نحو: سمع وأنصت، وقعد وجلس، كما درس ظاهرة التضاد والمشترك اللفظي وغيرهما.

4.محمد بن علي الشوكاني (1250هـ): يعد واحدا من علماء الأصول الذين تعرضوا للقضايا الدلالية في أبحاثهم، وتجسّد ذلك في كتابه **إرشاد الفحول**، الذي استعرض فيه القضايا الدلالية التالية:

أ.مناقشة علاقة الدال بالمدلول هل هي طبيعية أم عرفية؟

ب.طرائق الدلالة وهي عنده منطوق ومفهوم.

ج.الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية، بادئاً بتعريف المجاز معرفا إياه كالآتي: «اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة مع قرينة»[1].

[1] الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص33.

د.التطور الدلالي من خلال حديثه عن الاصطلاحات التي أحدثها الشارع الحكيم، وغيّر في معانيها بالتخصيص كالحج وهو القصد وخصص بزيارة بيت الله الحرام، والتوسع مثل التولي وهو الإعراض بالجسم، ثم استُعمل في الإعراض عن الأمور، والأديان والمعتقدات.

هـ. كما أشار إلى التضاد والترادف والمشترك اللفظي..

و. أهمية السياق في معرفة دلالة الألفاظ.

الفصل الثاني
علم الدلالة وعلوم اللغة:

لما كان الاتصال بين اللغة والفكر وثيقا، وحاجة البشر إلى التواصل والتفاهم ماسة، كان موضوع "الدلالة" من المواضيع التي شدّت انتباه شرائح مختلفة من المجتمع، في ميادين معرفية شتى، فقد شارك فيه المناطقة والفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا كما أسهم فيه علماء السياسة والاقتصاد والفن والأدب والصحافة.. وذلك لأن المعنى اللغوي يشغل اهتمام المتكلّمين جميعا.

إن معنى الوحدات الكلامية (المفردات) غير مستقل عن معنى الجمل، فمعنى المفردة مرتبط بسياقها المميّز لها داخل الجملة، لأن الوحدة كلامية تتألف من مكوّن كلامي (صوتي) ومكون غير كلامي يظهر مع كلّ وحدة منطوقة مثل التبر وتردد الصوت وضخامته وسرعته.. وهذه المكونات يطلق عليها الملامح فوق التركيبية، ولها أهمية في تحديد معنى الكلمة عندما يحصل التفاعل بين الكلام ومستعمليه (المتكلّم والسامع).

إن أفضل طريقة تبلّغنا الدلالة هي تعاملنا مع الألفاظ في سياقاتها، فمعاني الكلمات لا تتحدد بنفسها بل بالنظر إلى وضعها

داخل السياق، لذلك قيل: "أعطني النص الذي وجدت فيه الكلمة أعطك معناها"، وصرّح زعيم المدرسة السياقية فيرث (Firth) بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال "تسييق الوحدة اللغوية"[1]، وقبله صرّح ابن قيم الجوزية (751هـ) بأن السياق "يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة.. وهذه من أكبر القرائن الدالة على مراد المتكلّم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"[2].

إن الدلالة المعجمية - برغم أهميتها- تبقى قاصرة عن بيان الحقيقة والوفاء بالمقصود، مما حدا بالدارسين إلى استقراء أنواع الدلالات وتتبعها فتحدثوا عن الدلالة النحوية والدلالة الصوتية والدلالة الصرفية وغيرها.

علم الدلالة والأصوات:

للصوت حضور قوي وعجيب في حياتنا، فهو يحيط بنا من كلّ جانب، إنه أداة التواصل الفعالة والمفضّلة، ضروري تماما كالهواء والماء والطعام، إذ لا يمكن أن نتصور الحياة بدونه، فهو يمثّل الجانب العملي للغة، وقد أدرك اللغويون- العرب والغربيين-

[1] د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص68.

[2] ابن القيم: بدائع الفوائد (4/9-10)

قيمة الصوت فأخضعوه للدراسة باحثين عن العلاقة بين ما هو صوتي وما هو دلالي.

ولقد بقيت قضية ارتباط الصوت بالمعنى كعديد القضايا الخلافية محلّ جدل بين الدارسين، بين مثبتين لهذه العلاقة ونافين لوجودها أصلا، لأن العلاقة بين المعنى والصوت ليست علاقة ميكانيكية مباشرة، بل تخضع لقواعد اللغة، وقواعد اللغة بالغة التعقيد من جهة، وتوجّهُها قناعات الدارسين ووجهات نظرهم من جهة ثانية، مما يجعل حسم الإجابة أمرا ليس باليسير بل يحتاج إلى تدبر وتأنٍّ ونظر في أدلة كل فريق.

التناسب بين الصوت والمدلول:

لقد أدرك قسم كبير من أهل اللغة القدماء القيمة التعبيرية للصوت وأقرّوا بقدرته على تصوير المعاني، والإعراب عمّا في الأذهان، وممن أثار هذه القضية الخليل ابن أحمد وسيبويه، كما اعترف بصحتها أبو الفتح عثمان بن جني الذي يقول: "اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول، والاعتراف بصحته"[1]، وضرب لذلك أمثلة: "ومن ذلك قولهم

[1] ابن جني: الخصائص (152/2).

خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثّاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك"[1]، فصوت الخاء لرخاوته ناسب المأكول الرطب، والقاف لصلابته ناسب اليابس، وفي كتابه الخصائص أمثلةٌ على هذه الظاهرةِ الصوتيةِ كثيرةٌ، مثل النضخ والنضح، والوسيلة والوصيلة، والسد والصد، والقَسْم والقَصْم...

وآمن بهذه الفكرة من العلماء المتأخرين جلال الدين السيوطي الذي قال: "وأما أهل اللغة والعربية فكادوا يُطبِقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني"[2]، ونقل عن بعض أهل الاعتزال (عباد بن سليمان الصيمري) مذهبَه أن بين اللفظ ومدلولِه مناسبةً طبيعيةً، وذكر أن بعض من يزعمون معرفة مناسبة الألفاظ لمعانيها، سُئل ما مسمى كلمة "أذغاغ"؟ وهو بالفارسية الحجر، فقال: أجد فيه يبسا شديدا، وأراه الحجر[3].

ومن المحدثين الذين ينتصرون لفكرة الصلة العقلية بين الأصوات والمدلولات العالم اللغوي همبلت (Humboldt)

---

[1] المصدر السابق (157/2).

[2] السيوطي: المزهر (47/1).

[3] ينظر: المرجع السابق (47/1).

(- 1835م) الذي يقول: "اتخذت اللغة للتعبير عن الأشياء طريق الأصوات التي توحي إلى الآذان بنفسها، أو بمقارنتها بغيرها أثرا مماثلا لذلك الذي توحيه تلك الأشياء إلى العقول"[1]، وهو موقف يؤكد حضور الدلالة الصوتية والقيمة التعبيرية للصوت.

الرأي المعارض لفكرة التناسب بيت الصوت والمعنى:

أما اللغويون الذين أعرضوا عن مناسبة الدوال للمدلولات فمنهم عبد القاهر الجرجاني الذي أنكر صلة النظام الصوتي بالجانب الدلالي، واعتبر ذلك من قبيل التواطؤ والاصطلاح الذي لا تحكمه قاعدة فقال: "نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحرّاه، فلو أن واضع اللغة كان قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"[2].

والجرجاني بهذا الرأي النافذ يكون قد سبق بقرونٍ العلاّمةَ دوسوسير الذي نادى بفكرة الاعتباطية (Arbitraire) بين الدوال والمدلولات، معتبرا العلاقة بين الصوت والمعنى غير محكومة بقاعدة معللة، إذ أن مجموعة الحروف (ر.ج.ل) لا تربطها أية رابطة مهما

[1] د.رابح بوحوش: البنية اللغوية لبردة البوصيري ص51.
[2] الجرجاني: دلائل الإعجاز ص56.

كان نوعها مع الدلالة التي تشير إليها، وإنما الشأن في التواضع والاصطلاح، "وكادت الدراسات اللغوية بعد نظرية دوسوسير تسير في خط مستقيم... ذلك أن أغلب المحاولات التي جاءت بعده إما شرح وترديد لما قاله، وإما إضافات وتنقيحات تدعم الفكرة وتثبت صحتها"[1].

تقويم وتوفيق:

إن قوة الاستدلال لدى كلا الفريقين لا تعفيهما من المناقشة والانتقاد، إذ **لا يمكن التسليم بوجود علاقة دائمة بين اللفظ ومعناه** كما ذهب إلى ذلك بعض المغالين من أهل الاعتزال ممن أشار إليهم السيوطي في كلامه المتقدم، بل إن إدراك المدلول من مجرد سماع الصوت يعد ضربا من الهذيان غير المقبول، لأن القصة التي ساقها السيوطي إن صدقت في حالة واحدة يستحيل أن تتكرر، والقواعد العلمية لا تثبت بحادثة واحدة فضلا عن أن تكون إلى الأساطير أقرب.

أما الآراء التي تنفي صلة الصوت بالمعنى فإنها بالرغم من تمتعها بقدر عالٍ من العلمية إلا أنها **قد تناسب قضية نشأة اللغة** التي يفترض فيها التواضع، أما الاستعمال المستمر للغة فإنه يمكّن من

[1] د.رابح بوحوش: البنية اللغوية لبردة البوصيري ص53.

توليد ألفاظ جديدة بإمكان الصوت أن يكون له دور في إنتاجها.

وإذا نَخَلنا الرأيين باستبعاد فكرة عباد الصيمري ومسألة أذغاغ من الموقف الأول، وقصرنا فكرة الاعتباطية على أصل نشأة اللغة أمكننا التوصل إلى رأي وسط، وهو أن للصوت دلالاتٍ هامشيةً تمكنه من الإيحاء بمعناه كما في الأصوات المحكية نحو القرقرة والجعجعة والكشكشة.. وهذا النوع من الألفاظ قد أكد على دلالته الصوتية حتى من نفى العلاقة بين الدال والمدلول مثل دوسوسير الذي اعتبره خارج دائرة الاعتباطية.

وتتجلى الوظيفة الدلالية للصوت في الكتابات الأدبية؛ فكثير من الشعراء يستخدم الجوانب الصوتية لإحداث تأثيرات في المعاني، وتحميلها بمحمولات دلالية إضافية، "فإذا كانت الدلالة المعجمية للألفاظ هي السبيل الوحيد للتعبير في الكتابة المعيارية، فالأصوات التي تتألف منها هذه الألفاظ هي طاقة تعبيرية وإيحائية في الكلام الشعري"[1]، فلا يخفى دور الترديد الصوتي مثلا في قوله تعالى: "يَومَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ"[2] الذي يصور الرجفة أحسن تصوير، ومثاله التكرار الصوتي للفظة "الجبال" في قول محمد العيد آل خليفة:

---

[1] د.صبحي البستاني: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ص49.

[2] سورة النازعات الآيات 6-7-8.

نحـــنُ الجِبَـــالُ بَنُـــو الجبَـــا ... لِ، صَـدَى الجِبَـالِ بِنَـا حَـدَا

مَـــــنْ سَـــــامَنَا بِإذَايَـــــةٍ ... فَعَلَـى الجِبَـالِ قَـدِ اعْتَـدَى

التي وجدت في الإيقاع (الجانب العروضي) وهو نظام صوتي عوناً على شحن النص بدلالة القوة والشموخ والمقاومة المتواصلة.. "، ومثله التنغيم الذي يحدد درجة الصوت وفق عدد الذبذبات الناتجة عن الوترين الصوتيين التي تحدث نغمة موسيقية في الكلام تحدّد معاني مختلفة ومتنوعة بتنوعها؛ منها الاستفهام مثلاً"[1]، فالجملة الإخبارية "ستقوم أنت بهذا العمل" بإمكانها أن تكون جملة استفهامية إذا قُرئت على نحو معين، أو تحذيرية إذا ضغطنا على الحروف بطريقة ما، وهذا كله تعامل صوتي مع ظاهرة دلالية ويطلق عليه التنغيم (Intonation).

علم الدلالة والنحو:

"تتعلّق الدلالة النحوية بالمهام والوظائف والأدوار التي تقوم بها الوحدات اللغوية داخل بنية النص، من حيث تصنيفها، وإيضاح طرائق بنائها، وتحديد الدرجات الوظيفية التي تشغل مكونات

[1] د.صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ص31.

عناصرها، وطبيعة النموذج التركيبي (الجملة) لكل نوع من أنواع الجملة"[1].

لقد ذهب النحويون العرب القدامى إلى أن تصحيح النحو متوقف على المعنى، لأن "المعنى النحوي للكلمة إنما يظهر ببيان موقعها من الجملة، وبيان نوع علاقتها بغيرها من الكلمات المستعملة معها في هذه الجملة، ويعتبر هذا المعنى النحوي في الوقت نفسه جزءا من معناها العام في اللغة العربية"[2]، وهو ما يثبت صلة التركيب النحوي بالجانب الدلالي، بل إن الإعراب من حيث هو إيضاح وبيان ليس في النهاية إلا تطبيقا دلاليا، بدليل أن النحويين حينما عرّفوه جعلوه دليلا على المعاني، كما قال الجرجاني (471 هـ) "قد عُلم أن الألفاظ مغلقة على معانيها، حتى يكون النحو هو الذي يفتحها"[3]، فهاته المقولة وغيرها تثبت أن العلاقة بين الحركات الإعرابية والمعنى **من قبيل المسلّمات، وقد ذكر النحاة أن وضع النحو كان بسبب مشاكل حصلت على المستوى الدلالي، من ذلك أنّ أبا الأسود** الدؤلي سمع قارئا يقرأ: "أن الله بريئ من المشركين ورسوله" بجر "رسوله"، فقال معاذ الله أن يكون الله بريئا من رسوله، اقرأ: "أَنَّ

[1] د.عبد القادر عبد الجليل:علم اللسانيات الحديثة ص528.
[2] د.عبد الله أحمد جاد الكريم: المعنى والنحو ص21.
[3] الجرجاني: دلائل الإعجاز ص42.

اللّهَ بَرِيْءٌ مِنَ المُشْرِكِيْنَ وَرَسُولُه"[1].

فالكلام واحدٌ لم يتغير إلا في حركة اللام التي إن جرّها المتكلّم كفر، وإن رفعها كان الكلام صحيحا لا شيّة فيه، ولولا هذه الرابطة القوية بين النحو والمعنى لما كانت العرب تجزع من اللحن في إعراب الكلمات، فقد رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بقوم يرمون، فاستقبح رميهم، فقال: ما أسوأ رميكم! فقالوا: نحن قوم (متعلمين)، فقال: لحنكم أشدُّ عليّ من فساد رميكم[2].

الاستقامة النحوية والاستقامة الدلالية:

إن المقبولية صفة في الكلام الذي تحصل منه منفعة ما، ويلاقي قبولا ورضى من حيث معانيه ومقاصده، ولذا فإننا نجد هذا العنصر متناولا بالدراسة في المباحث النحوية والمباحث الدلالية على السواء، فالاستقامة النحوية لمركب من المركبات هي خضوع المركب للأصول النحوية وقواعد التركيب، وجدير بالذكر أن القواعد تقدّم المعلومات اللازمة لتوليد كل الجمل الصحيحة والمحتملة الصياغة، أي أنها تمنع في الوقت نفسه توليد الجمل غير

[1] سورة التوبة الآية 04.

[2] ينظر د.أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في النحو العربي ص18.

الصحيحة.

أما من جهة الاستقامة الدلالية فيعسر إيجاد قوانين كلية تحصر المعاني وتحصيها وتستوفي أحكامها إلاّ أنّ في فِطَر الناس السليمة ما يمكّن من التمييز بين المعاني ويقذف في النفوس اتّباع الصواب والنفور من الخطأ، ولكن كيف نفرّق بين الصيغ ذات المعنى والصيغ التي لا معنى لها؟

هناك جمل مرفوضة لأسباب نحوية وليست دلالية مثل: أريد أن هو سيأتي، فهي بلا شك جملة غير نحوية إذا قورنت بالجملة الآتية: أريد أن يأتي، وهناك جمل أخرى حقيقية أو محتملة سليمة نحويا مرفوضة دلاليا مثل: يركض الخميس والجمعة في جو ممطر.

وقد تعرّض سيبويه إلى الاستقامة النحوية والاستقامة الدلالية حين تحدّث عن أقسام الكلام بهذين الاعتبارين فقال: "فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب:

1. فأما المستقيم الحسن فكقولك أتيتك أمس وسآتيك غدا.
2. وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: آتيك غدا وسآتيك أمس.

3. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر.

4. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك.

5. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[1].

فسيبويه يبدو واضحا في أخذه بالاعتبارين الدلالي والنحوي، فالكلام المستقيم عنده هو الذي يحترم قواعد النحو، ولكن الحكم على هذه الاستقامة بالحسن أو الكذب ونحوهما فمن صميم البحث الدلالي، وحتى يبلغ الكلام أرقى المراتب لا بد أن تكون الاستقامة أو المقبولية نحوية ودلالية في الوقت نفسه، واعتبرتهما البلاغة شرطين لا يستغنى عنهما لتحقيق فصاحة الكلام.

علم الدلالة والصرف (Morphologie):

إن اللغة تمتاز بالتغير والتنوع والثراء في المعاني والمباني على حدّ سواء، ولمّا كان للجانب الشكلي منها أهميته من حيث اتساع الأبنية وكثرة الصيغ وتعدد الأوزان؛ اشتغل علم الصرف (Morphologie) وحده بدراسة مثل تلك الظواهر من خلال رصد تغيرات المبنى وتبدلات الحروف، ولذلك قال أحد اللغويين (ابن

[1] سيبويه: الكتاب (25/1)

فارس): "أما التصريف فإن من فاتَهُ علمُه فاته المعظم".

ضبط المفهوم:

الصرف أو التصريف في اللغة هو التغيير، ومنه قوله تعالى: "وَتَصْرِيْفِ الرِّيَاحِ"[1] أي تغييرها في الاتجاهات، أو في إتيانها بالرحمة أو بالعذاب..

أما اصطلاحا فيطلق علم الصرف على دراسة أبنية الكلمات انطلاقا مما يطرأ على أشكالها من تغيير يرجع إلى الإعراب من جهة، أو ما يدخل عليها من زوائد ترجع إلى الاشتقاقات من جهة أخرى، فالمورفولوجيا تجمع من هذه الناحية بين الدراسة الوظيفية وعلم التركيب (Syntaxe).

وقد كانت عناية اللغويين العرب ناشئة من حرصهم على **صون اللسان عن الخطأ ومراعاة قوانين الكتابة، والاستعانة به على** فهم القرآن والحديث وكلام العرب، لكن وظيفة الصرف عند اللسانيين المحدثين لم تقف عند هذا الحد بل باتت ذات أغراض دلالية تكشف عن صلة بنية الكلمة بالصورة الذهنية[2].

---

[1] سورة البقرة الآية: 164.

[2] تنظر مقدمة محقق كتاب شذا العرف في فن الصرف للحملاوي ص3 وما بعدها.

تحديد العلاقة:

إن الارتباط بين الدال والمدلول يكاد يكون بدَهيا، يبرر ذلك التخاطب اليومي وتفسّره الدراسات اللغوية، ولما كان الأمر كذلك تأكد أن التغيّر في الدلالة هو محصّلة لتغيّر في أحد وجهيها، فمورفولوجية الوحدة الدلالية (الهيئة الصرفية للدال) ذات تأثير كبير على المدلول، بل إن أي تغيّر في بنية الدال يؤدي إلى تغيّر في الدلالة نفسها، فالفعل غفر ليس هو استغفر لما تتضمنه حروف الزيادة من معاني الطلب، ولهذا قيل الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، يقول د.محمد مفتاح: "إنّ هذا القول أصل من أصول النحويين العرب، ويظهر أنه عالمي ليس خاصا باللغة العربية، ولذلك نجده بنفسه في اللغة الإنجليزية: (More of Forme is more of Content) ومعنى هذا فإن الزيادة في الصيغة الصرفية للفعل مثل فعّل (بالتضعيف)، أفعل، استفعل... زيادة في معناه"[1].

ويميّز التصريف بين المعاني التي قد تحوّلها الصياغة من الضد إلى الضد، يقول ابن فارس: "يقال القاسط للجائر، والمقسط للعادل، فتحوّل المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل".

[1] د.محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري ص75.

ويذكر السيوطي في المزهر قصة تكشف عن التفات علماء اللغة القدامى لأهمية الصيغ ودورها في تغير الدلالة، فقد أشار إلى وفود عمرو بن عبيد المعتزلي على أبي عمرو بن العلاء يسأله: "يا أبا عمرو أيخلف الله وعده؟ قال أبو عمرو: لا، قال عمرو: أفرأيت من وعده الله على عمل عقابا، أيخلف الله وعده؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد.."[1] فعمرو بن عبيد قد أخطأ في التفريق بين الصيغتين، فالوعد مصدر (وعد)، والوعيد مصدر (أوعد)، والفعل الأول ثلاثي والثاني رباعي، فزيادة الهمزة نقلت المعنى إلى الضد، ومثالها أيضا أثم وتأثم وحنث وتحنث...

إن التصريف يثري اللغة بما يتيحه لموادها من المعاني الوظيفية الكثيرة، دون الحاجة إلى البحث عن موادَّ لغويةٍ جديدةٍ، مما يؤدي إلى الاختصار ويحقق غاية من غايات البلاغة وهي الإيجاز، كما في قوله تعالى: "أَوَ لَمْ يَرَوا إِلى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ويَقْبِضْنَ"[2]، فالملاحظ أن الله عز وجل نسب إلى الطير صف الأجنحة وقبضها، وهما حدثان عبّرت عنهما الآية بصيغتين صرفيتين مختلفتين (اسم الفاعل – الفعل المضارع) وذلك رعاية للمعنى الفني الدقيق الذي ترمز إليه الآية.

---

[1] السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (335/1).

[2] سورة الملك الآية: 19.

فكأن الآية قد رمزت بذلك ـ فضلا عن إثبات حدثي الصف والقبض ـ إلى أن الصف هو غالب فعل الطير في جو السماء، وأن القبض يكون عارضا، على اعتبار أن القرآن عبّر عن الحركة والاضطراب بالفعل (يقبض) ليدلّ على أنه طارئ ودخيل على الأصل وهو الاسم (صافات)، وكان بالإمكان التعبير عن نفس مضمون الآية بالقول: (يصففن غالبا وأحيانا قابضات) وفيه من الركاكة والتطويل ما يخالف إيجاز القرآن وبلاغته[1]، والمقصد ههنا بيان قيمة الصياغة والتصريف في التعبير عن المعاني الفنية الدقيقة في أوجز عبارة؛ عن طريق الإفادة من المعاني الوظيفية التي يمكن الحصول عليها من تصاريف المادة الواحدة[2]، فالجانب الصرفي إذن "لا يقتصر في دراسته على بنية الكلمة فحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى دراسة صياغتها ومكامن الدلالة فيها من خلال وظيفتها وأثرها الإيحائي على المعنى المعجمي"[3].

علم الدلالة والبلاغة:

البلاغة في اللغة الوصول والانتهاء، يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه، وبلغ الراكب المدينة إذا انتهى إليها، ومبلغ الشيء منتهاه، وقيل سميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه،

---

[1] ينظر الزمخشري: الكشاف(124/4).

[2] تنظر مقدمة محقق كتاب شذا العرف في فن الصرف ص5.

[3] د.صفية مطّهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية ص247.

والبلاغة اصطلاحا هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة فصيحة لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه.

وقال ابن المعتز: "أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقلّ إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه"، وتنقسم البلاغة إلى ثلاثة علوم أساسية؛ وهي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، ولكل واحد من هذه الثلاثة علاقة وطيدة بعلم الدلالة.

فكرة المقام وصلتها بالدلالة:

يقصد بالمقام جملة الموقف الاجتماعي المتحرك الذي يشمل المتكلّم والسامع والخطاب وجميع جوانب عملية الاتصال، وهو من العناصر غير اللغوية التي لها دخل كبير في تحديد المعنى، وينبغي على المتكلّم أن يراعي المقام في نسج كلامه ليتوافق الحال والمقال، فيتحقق بذلك أحد أهم غايات البلاغة، يقول الجاحظ: "جماع البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وأن لا يكلّم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ومدار الأمر على إفهام كلّ قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم"[1].

ومن العناية بالمقام مراعاة الجوانب اللغوية التي أشار إليها

[1] الجاحظ: البيان والتبيين (81/1)

علماء المعاني من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وقصر وفصل ووصل، وإيجاز وإطناب وغير ذلك من أحوال المسند والمسند إليه، فبحكم ترابط المقال والمقام ترابطا جدليا تصبح خصائص الكلام غير منفصلة عن السياق الذي يحتويه، بمعنى أن الحكم على الكلام لا يتعلّق بالكلام نفسه، وإنما بمطابقته للمقام العام، ومن أمثلته النماذج القرآنية التالية:

1. قال تعالى: "ذَلِكُمْ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ"[1] وفي سورة غافر: "ذَلِكُمْ اللّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ"[2] ففي الآية الأولى تقدّم الوصف بالوحدانية "لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ" على الوصف بالخلق "خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ" وذلك لما تقدمها من تنزيهٍ لله تعالى عن الشريك والصاحبة والولد في قوله تعالى: "وجَعَلُوا للّهِ شُرَكَاءَ الجنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى عَمَّا يُشْرِكُونَ" أما في الآية الثانية فتقدم الوصف بالخلق على الوصف بالوحدانية المطلقة، لأنها جاءت في سياق وصف خلق الله تعالى: "اللّهُ الذي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ والنَّهَارَ مُبْصِرًا" فتناسبت هذه الآية مع تقديم الوصف بالخلق في التي تليها.

---

[1] سورة الأنعام الآية 103.

[2] سورة غافر الآية 62.

2. قال تعالى: "للّهِ ما في السَّمَاوَاتِ وما في الأَرْضِ، وإِنْ تُبْدُوا ما في أَنْفُسِكُمُ أو تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّهُ"[1] وقال في سورة أخرى: "قُلْ إِنْ تُخْفُوا ما في صُدُورُكُمُ أو تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ"[2] فتقدّم ذكر الإخفاء في هذه الآية و تأخر في الآية السابقة مع أن المعنى العام واحد؛ وهو إثبات إحاطة الله تعالى بالظواهر والبواطن، إلا أنّ في الآيتين لفتةً بلاغيةً تتمثل في مناسبة الحال، فتقدّم ذكر الإخفاء في الآيات التي تختص بذكر المؤمنين وتأخر في الآيات الخاصة بالمنافقين.

ولما كان المقام وثيق الصلة بالدلالة، اعتبر البلاغيون أنّ الكلام ليس على مستوى واحد، وإنما متغيّر وفق المقامات والأحوال، ولو كان الإيجاز محمودا في كلّ الأحوال لكان القرآن أولى بذلك، فقد أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكرّر تارة للإفهام[3].

الانتقال في الدلالة:

لقد أصبح من المستحيل اليوم الوقوف عند ثنائية لفظ/معنى، دال/مدلول، فقد وسعت البلاغة الآفاق، وفتحت باب التأويل

---

[1] سورة البقرة الآية 283.

[2] سورة آل عمران الآية 29.

[3] ينظر ابن قتيبة: أدب الكاتب ص24-25.

والإيحاء على مصراعيه في تخلّص واضح من قيود المعجم وقواعده الصارمة، وباتت لدينا معادلة جديدة:

دال ← مدلول أول ← مدلول ثان

وإذا عدنا إلى كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني نجده يثبت المعادلة نفسها، ولكن تحت مسمى آخر: اللفظ والمعنى ومعنى المعنى، يقول: "تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"[1].

لفظ ← معنى ← معنى المعنى

تمثّل عملية الانتقال جوهر علم البيان لما فيها من تحريك للدلالة من الحقيقة إلى المجاز، أو من المعاني الأولية إلى المعاني الثانوية بقرائن مختلفة كما في قول المتنبي وقد عانقه سيف الدولة:

فَلَمْ أَرَ قَبْلي مَنْ مَشَى البَحْرُ نَحْوَهُ

ولا رَجُلاً قَامَتْ تُعَانِقُهُ الأُسْدُ

إن إسناد المشي إلى البحر وعدم تلاؤم البحر مع الظرف "نحو"

[1] الجرجاني: دلائل الإعجاز ص204.

يدلنا على أن المعنى الأولي للفظة لا يفي بالغاية، وإنما هناك انتقال في الدلالة إلى "معنى المعنى" الذي هو الممدوح "سيف الدولة"، إن العلاقة بين البحر وسيف الدولة (قطبا الاستعارة) تمثّل مجموعة مقومات تمييزية يشتركان فيها، وهو ما يتمثل وفق الشكل التالي:

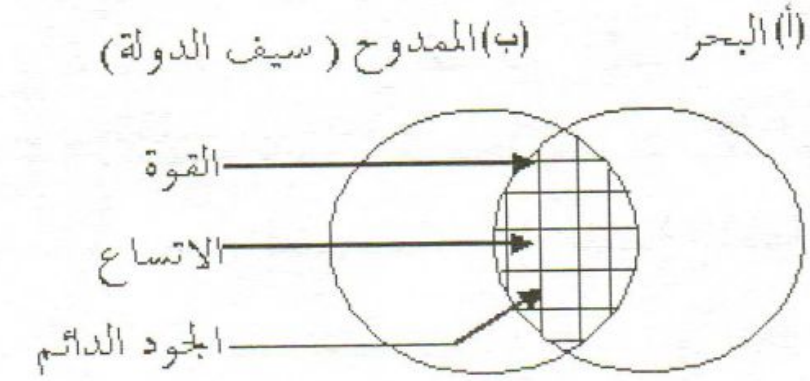

.....

.....

"المساحة المخططة هي المساحة المشتركة بين حقلي الدلالة للحقيقة (أ) والحقيقة (ب)، ويمكن تكرار العملية نفسها بالنسبة إلى لفظة الأسد"[1].

إن وظيفة الانتقال في الدلالة ليست معنوية فقط، بل ولها آثار نفسية إذا نظرنا إليها من جهة المتلقي الذي تستثيره الصور البلاغية

[1] د.صبحي البستاني: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ص94.

فيبدي انفعالات معينة استجابة لتلك الصور التي تحمل في طياتها عنصر المفاجأة والغرابة الذي يستدعي تأملا واستنباطا، قال د.جابر عصفور: "نجد أن أصل المتعة التي تقدّمها الصورة يرتد إلى نوع من التعرّف على أشياء غير معروفة، وكأن النادر والغريب من الصور الشعرية يثير فضول النفس، ويغذي توقها إلى التعرّف على ما تجهله، فتقبل عليه لعلّها تجد فيه ما يشبع فضولها"[1]، فمن وجهة نظر د.جابر عصفور الإمتاع (الدلالة النفسية) لا يتحقق ما لم يكن في الكلام لمسة مجازية تسمو به من المعنى المعجمي إلى المعاني الثانوية.

[1] د.جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ص325.

الفصل الثالث:
علم الدلالة والعلوم الإنسانية:

علم الدلالة وعلم النفس اللغوي:

لقد أصبح في حكم البَدَهي أن اللغة ظاهرة صوتية واجتماعية ذات وظيفة تواصلية، ولكن هل يمكن اعتبار هذا التحديد نهائيا؟ أليس من الممكن افتراض أن اللغة ظاهر ة فردية (نفسية) قبل أن تكون اجتماعية؟

إن أفضل من نتوقع امتلاكه للإجابة هو علم النفس اللغوي، وهو علم حديث ظهر ضمن اللسانيات العامة منذ **1954**م بهدف دراسة الخطابات اللغوية بوصفها تعابير نفسية ذاتية، "ولقد اتسع هذا العلم خلال الستينيات بعد أن غذّته مبادئ النحو التوليدي بفضل نظريات تشومسكي، فتحدد موضوعه عندئذ بدراسة ظاهرة الكلام كيف تنشأ لدى الباث (المتكلّم) وظاهرة الإدراك كيف تتحقق لدى المتقبّل (السامع)"[1].

الوظيفة النفسية للغة:

تعتبر اللغة وسيلة من وسائل تصوير المشاعر الإنسانية

[1] د.عبد السلام المسدي: نظرية العرب في اكتساب اللغة، مجلة أقلام العدد 8 ص04.

والعواطف البشرية التي لا تتغيّر بتغير الأزمان، فمشاعر الحب والسرور ونشوة النصر والحزن والشعور بالظلم عواطف تلازم الإنسان منذ بدء الخليقة، وهي مستمرة ما استمرت حياة على الأرض، بل إن اللغة بتسجيلها لحالات انفعالية حصلت في رقعة زمنية محدودة بإمكانها أن تمنح تلك الحالات صفات الديمومة والحياة والفاعلية كلما قمنا بملامسة تلك الآثار الأدبية والاقتراب منها (بفعل القراءة).

إن اللغة توفر لقرائها متنفسا حيث يجدون في النصوص مشاعرهم التي لم يحسنوا التعبير عنها، إذ ليس في الوسع الناس أن يكونوا جميعا أدباء، وبهذا تتحوّل النصوص نفسها إلى منبهات تثير لدى القراء أفكارا وعواطف واستجابات سلوكية (قانون المنبه والاستجابة).

تتمثل الوظيفة النفسية للغة في قدرتها على الوفاء بالتعبير الدقيق والحي عن الحاجات النفسية والشعورية، فتسعف من يقدر على التعبير عنها بالصور والتراكيب، لينتج آثارا أدبية جميلة دقيقة التصوير ومؤثرة، فتظل اللغة بذلك نبعا لعرض العواطف والأحاسيس الإنسانية وتفريغها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في جميع العصور.

دور علم النفس في الكشف الدلالي:

يهتم علم النفس اللغوي بالدلالات التي لم يقلها المتكلّم، فهو ينظر إلى الخطاب الأدبي على أنه سطح تطفو عليه مقاصد المتكلّم

ونواياه بطريقة قد لا تكون واعية، في شكل إشارات لغوية تستدعي من القارئ فهمها وتأويلها، يقول الدكتور عبد السلام المسدي: "فهذا العلم يعكف أساسا على عمليتي التركيب والتفكيك وكيف تلابسان الحالة التي يكون عليها كل من الباث والمتقبل"[1] اللذين تتراوح وظيفتهما بين الإنشاء والتحليل (التركيب والتفكيك).

إن علم النفس من وجهة نظر التحليل النفسي ينظر إلى اللغة على أنها إفراز من إفرازات منطقة اللاوعي، وهي مليئة بالقرائن المنبئة عن الحالة النفسية للمنشئ، ولذا فإن الدلالة الحقيقية بحسب هذا المنهج تكمن فيما تخفيه اللغة وليس فيما تقوله.

وبناءً على ما تقدّم فإن أصحاب هذا الاتجاه اعتبروا أن الدلالة الرئيسة موضوع البحث يمكن الوصول إليها عبر مجموعة من القرائن الدالة كنوع الحبر والخط والمسودات والتشطيبات.. "على اعتبار أنها إذا أحسن استخدامها، قد تساعدنا على إدراك نقدي للفجوات والتقلبات والتحولات والحذوف التي تطرأ على العمل الفني"[2]، وعلى ضوء ذلك تمت دراسة البياض في القصيدة تحت ما أطلق عليه سيميائية البياض، ونحوُه فقدانُ الترابط العضوي في

---

[1] المرجع السابق ص04.

[2] رينيه ويليك- أوستين وارين: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، ص93.

القصيدة الجاهلية الذي لا تعتبره الدراسة النفسية اختلالا فنيا بقد ما هو نظام يعبّر عن توترات الذات، فتلك القفزة المعنوية التي يقفزها الشاعر القديم من فكرة إلى فكرة عبارةٌ عن نص قابل للقراءة النفسية، وهي تشبه تماما تقنية البياض في القصيدة الحديثة.

2.علم الدلالة والمجتمع:

إن دارسي اللغة على اختلاف مشاربهم لا يكادون يختلفون على أهمية البعد الاجتماعي للغة، على اعتبار اللغة أنّ ذات مرجعية اجتماعية، فهي تنبعث من رحم المجتمع وتعبّر عن حاجات أفراده، وإلى هذا قصد ابن جني حين قال: "اللغة هي أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم"[1].

الأثر الاجتماعي في الدلالة:

إن اللغة تمثّل إحدى إفرازات المجتمع، وهي مظهر من مظاهر تطوّره، فتعكس حضارة الأمة ونظُمَها وتقاليدَها واتجاهاتِها العقليةَ وشؤونَها العامة.. "فكلّ تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة التعبير، ويتم التغيّر في كل المستويات الصوتية والصرفية

[1] ابن جني: الخصائص (33/1).

والتركيبية والدلالية"[1]، فكلّما اتسعت حضارة الأمة وكثرت حاجاتها ورقي تفكيرها نهضت لغتها وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، ودقت معاني مفرداتها القديمة، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع والتوليد والاشتقاق والاقتباس للتعبير عن المسمّيات والأفكار الجديدة.

"إن ظاهرة اجتماعيةِ اللغة تؤكد أن الألفاظ تعيش مع الناس في لغة تعاملاتهم اليومية، وتمارس أدوارها الوظيفية قوة وإدراكا، نزولا وصعودا، من جيل إلى جيل"[2]، لذا فإن من أراد كشفا دلاليا لتلك الجوانب اللغوية فما عليه إلا أن يتخذ المجتمع مرجعا ليفسرها على ضوئه، بأن يضع في مدركه التصوري مفهوم هذه الوحدات داخل المنظومة الاجتماعية، والتي على أساسها يتم التبادل الإدراكي بين أفراد المجموعة اللغوية.

إن الدلالة المعجمية اجتماعية في أصل تكوينها أفرزها المجتمع وتبناها المعجم، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: "فلا غرابة ألا يفرّق بعض اللغويين بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية، وهذا

---

[1] د.بلقاسم بلعرج: من عوامل التطوّر اللغوي، مجلة بونة، العدد1، 1425هـ 2004م عنابة الجزائر، ص131.

[2] د.عبد القادر عبد الجليل:علم اللسانيات الحديثة ص536.

ما ارتضيناه هنا أو قنعنا به، فكلّما ذكرنا الدلالة المعجمية لا نعني بها سوى الدلالة الاجتماعية"[1].

إن أوضح ميدان يمكن أن يعكس الخلفية الاجتماعية للغة هو ميدان المحرّمات (الطابوهات: Tabous) وتختص هذه الظاهرة بكلّ ما هو محرّم أو مكروه أو جنسي أو غير ذلك من الألفاظ والعبارات والاستعاضة عنه بألفاظ أكثر تقبلا في نفوس المجتمع، مثل قوله تعالى "أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ"[2]، كما يفرض المجتمع على بعض الألفاظ دلالات جديدة من باب **حسن التعبير** مثل مصحة الأمراض العقلية بدلا عن مستشفى المجانين، ومتقدم في السن بدلا عن عجوز، وانتقل إلى رحمة الله بدل مات، ودورة المياه بدل المرحاض... واللافت في هذا الموضوع أن اللغة العربية توسعت في تهذيب الألفاظ توسعا كبيرا بشكل لا نجده في اللغات اللاتينية التي تغلب عليها المباشرة والتعبير الصريح.

الألفاظ الدالة على الفئات الاجتماعية:

يُعبَّر عن دلالة ما وفقا للمرجعية الاجتماعية للمتكلّمين، فنجد انطلاقا من ذلك تعابير خاصة بالبدو والحضر والمتعلمين

---

[1] د.إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص51.

[2] سورة النساء الآية43.

والحرفيين والتجار والمنحرفين وغيرهم، ولقد فطن لهذه الفروق التعبيرية جلال الدين السيوطي في مقاماته حينما خصّ كلّ فئة اجتماعية بمقامة تشتمل على مفردات تلك الطبقة من الناس، إذ يمكن للتعبير اللغوي أن يكون دليلا على الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها المتكلّم، وقد أشار ابن خلدون في المقدمة إلى أحد العلماء النابهين وقد أنشده أصحابه بيت ابن النحوي:

لم أَدْرِ حِـــيْنَ وَقَفْـــتُ بـــالأَطْلالِ

مـــا الفَـــرْقُ بَـــيْنَ جَدِيْـــدِها والبَـــالي

فقال العالم معقبا: هذا شعر فقيه، فقيل له: ومن أين لك ذلك؟ قال: من قوله ما الفرق؟ إذ هي من عبارات الفقهاء، وليست من أساليب كلام العرب[1]، وأطرف منه قصة ذاك الأعرابي الذي أراد أن يعبّر عن وفاء ممدوحه وشجاعته فقال:

أَنْـــتَ كَالكَلْـــبِ في الوَفَـــاءِ

وَكَـــالتِّيْسِ في مُقَارَعَـــةِ الخُـــصُومِ

فالدلالة صحيحة لكن أدواتها موغلة في البداوة والجفاء وسوء الأدب، فكان البيت مثالا عاكسا لطبقة اجتماعية ينتمي إليها الأعرابي.

[1] ينظر ابن خلدون: المقدمة ص426.

اللهجات اللغوية:

تعد اللهجات اللغوية المختلفة مظهرا من مظاهر النشاط الاجتماعي الذي يلقي بظلاله على دلالات الألفاظ من خلال الاختلاف في الدوال أو المدلولات، فالحميريون مثلا يعرّفون الأسماء بـ (أم) بدلا عن (أل) المعروفة في الخطاب العربي، والتميميون ينطقون الهمزة التي في أول الكلام عينا، وقد تجد جماعة لغوية تعبّر عن معنى من المعاني بلفظ يختلف عن جماعة أخرى وهما ينتميان إلى نفس اللغة، كلفظة "وثب" مثلا التي تعني في حي من أحياء العرب قفز وفي حي آخر جلس، ومن أمثلة ذلك في اللهجات العامية "التصبين" في نواحي تلمسان والمغرب الأقصى ويعنون به غسل الملابس، وهي لفظة مأخوذة من الصابون كما هو واضح، وألفاظ "مولانا" و"الفقيه" و"الشيخ" وتدلّ كلها على صاحب العلم الشرعي في بيئات مختلفة، فالأولى في مصر والثانية في المغرب والثالثة في الجزائر.

فالمجتمع يصنع الدلالة ويتحكم بها، والدلالة تعكس المجتمع وتشير إلى الكثير من ملامحه، بحيث يصبح التنوع الدلالي مرآةً عاكسةً للتنوع الاجتماعي.

الفصل الرابع:
الوحدات الدلالية

لقد غدا شائعا حتى بين بعض دارسي اللغة أن الكلمة هي العنصر الوحيد الذي بإمكانه أن يعبّر عن دلالة ما؛ فيما الصواب أن للكلمة شقيقاتٍ أكبرَ منها وأصغر، تحمل كلّ منها دلالتَها الخاصةَ، وهي ما يطلق عليها الوحدات الدلالية أو مكونات الدلالة، "وتختلف وجهات النظر اللغوية حول تعريف الوحدة الدلالية؛ فمنهم من قال إنها الوحدة الصغرى للمعنى، ومنهم من قال إنها: تجمّع من الملامح التمييزية، ومنهم من قال إنها: أيّ امتدادٍ من الكلام يعكس تباينا دلاليا"[1].

ولقد رأى بعض الدارسين أن النص يصلح أن يكون الوحدة الدلالية الأهم، فيما ذهب نيدا (Nida) إلى تقسيم الوحدات الدلالية إلى مستويات متعددة، وهو الاختيار الذي رجّحه الدكتور أحمد مختار عمر مضيفا إليها قسما خامسا وهو الجملة، وهذه الأقسام هي:

1. الكلمة المفردة
2. أكبر من كلمة (تركيب)

[1] أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص31.

3.أصغر من كلمة (مورفيم متصل)

4.أصغر من مورفيم (صوت مفرد)

5.الجملة

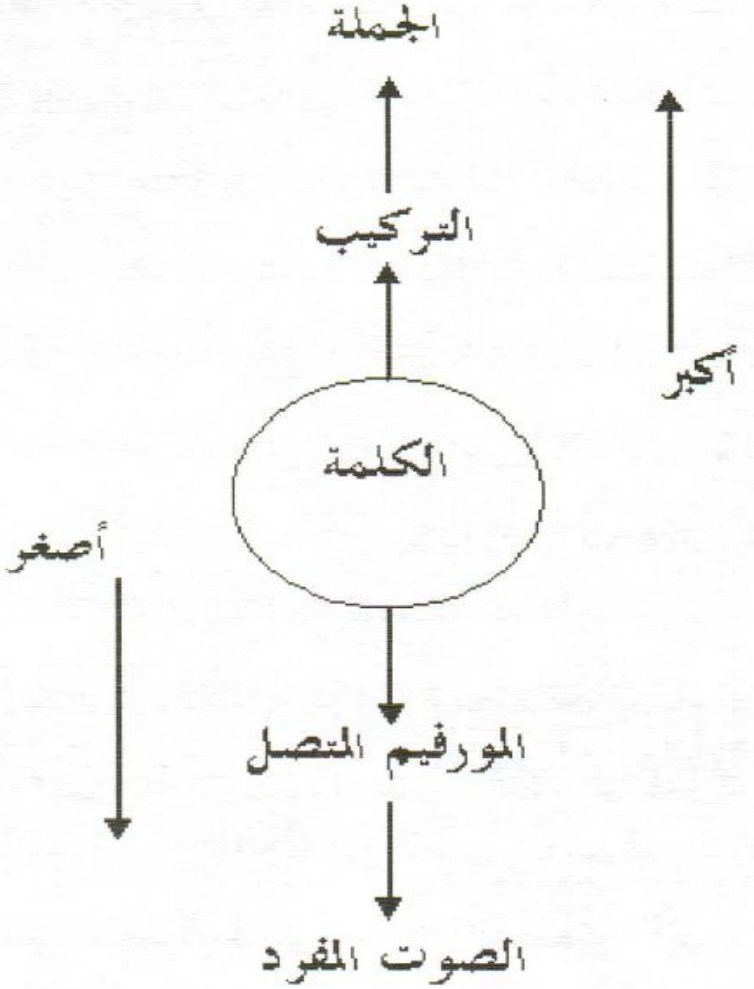

ويمكن أن نعتبر الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية لقدرتها على حمل مسمّاها أو معناها في المعجم، حتى اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصغرى[1]، فكلمات مثل: كتاب، ساحة،

[1] المرجع السابق ص33.

شجرة، سيارة.. تملك كلٌّ منها دلالة خاصة بها، ولكننا إذا ضممنا بعضا من تلك الكلمات إلى بعض سنكون أمام وحدات دلالية أكبر وهي التركيب أو الجملة.

فالتركيب "تلك العبارات التي لا يفهم معناها الكلي بمجرد فهم معاني مفرداتها وضم هذه المعاني بعضها إلى بعض"[1] مثال ذلك البيت الأبيض الذي لا يشير إلى مبنى، ولكن إلى مؤسسة سياسية معينة، وكذلك الشأن لعبارة المحكمة العليا أو مجلس الأمة.. فدلالة التركيب تتجاوز دلالة ما يتركّب منه، فلا يكفي أن نعرف الدلالة المعجمية لأجزاء التركيب للوصول إلى الدلالة الحقيقة.

أما **الجملة** فوحدة دلالية أشمل، لأنها تركيب تنتظم عبره عدة كلمات انتظاما يحترم قواعد اللغة، وهي من أهم الوحدات الدلالية، ويعتبرها بعضهم أهم من الكلمة نفسها، وخير من يمثّل هذا الموقف النحاة العرب الذين حصروا القيمة المعنوية للكلام في الجملة واستبعدوا ما عدا ذلك، يقول محمد ابن الناظم: "ولا بدّ للكلام من طرفين مسند ومسند إليه، ولا يكونان إلا اسمين نحو زيد قائم، أو اسما وفعلا نحو قام زيد"[2] لأن الكلمة المفردة ليست

---

[1] السابق ص33.

[2] ابن الناظم: شرح ألفية ابن مالك ص3.

قادرة على العطاء أكثر إذا لم تكن ضمن وحدة دلالية أكبر؛ حيث تتدخل مؤثرات (سياقات) أخرى تساهم في إخصاب المعنى المعجمي للمفردة وتفعيله، ودليل ذلك أن التواصل بين الناس لا يتحقق إلا ضمن جمل تتحدد داخلها وظائف المفردات.

وإذا جئنا إلى الوحدات الدلالية الأصغر من الكلمة نجد **المورفيم المتصل**، و"المورفيم هو أصغر وحدة لغوية مجرّدة ذات معنى"[1] ويكون إما منفصلا وإما متصلا، ومن المورفيمات المتصلة السوابق مثل أحرف المضارعة والسين الدالة على الاستقبال، واللواحق مثل الضمائر المتصلة.

أما الوحدات الدلالية **الأقل من المورفيم** "فمثل دلالة الضمة على المتكلّم، والفتحة على المخاطَب، والكسرة على المخاطَب في الضمائر: كتبتُ، كتبتَ، كتبتِ، ومثل دلالة الضمة على البدواة والكسرة على الحضارة في اللغة العربية"[2]

[1] د.أحمد سليمان ياقوت: أبحاث في اللغة ص38.

[2] المرجع السابق ص**38**.

الفصل الخامس:
مشكلة المعنى وتعدد الدلالات:

إن العلاقة التي تربط الدال بمدلوله من حيث الإفراد والتعدد تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

"أ.**المتباين:** وهو أكثر اللغة، وذلك أن يدل اللفظ الواحد على معنى واحد.

ب.**المشترك اللفظي:** وهو أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى.

ج.**المترادف:** وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد"[1].

أما القسم الأول وهو تعدد الألفاظ للمعاني المتعددة فيشكل معظم اللغة وليس موضوع اهتمامنا هنا، فيما القسمان الثاني والثالث يستدعيان منا وقفة لما يمثلانه من خروج على أصل الكلام، وبسبب الخلاف الذي دار حولهما على مرّ التاريخ.

المشترك اللفظي[2]:

وهو في الاصطلاح كما نقل ذلك السيوطي: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل تلك

---

[1] د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص145.

[2] ويسمى في الدراسات القرآنية الوجوه والنظائر، ويقصد بالوجوه المعاني المتعددة للفظ، وبالنظائر الألفاظ المتعددة للمعنى، ينظر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن (النوع التاسع والثلاثون في معرفة الوجوه والنظائر) ص206.

اللغة"[1]، **كالعين** للمطر وللجارحة أداة البصر وللبئر وللنقود من الدينار والدرهم، وللجاسوس.. ومن شواهده أيضا ما رُوي عن الخليل من شعر:

يَـــا وَيْـــحَ قَلْـــبي مـــنْ دَوَاعِـــي الهَـــوَى

إِذَا رَحَـــلَ الجِيْـــرَانُ عِنْـــدَ الغُـــرُوبْ

أَتْبَعْـــتُهم طَـــرْفي وقَـــدْ أَزْمَعُـــوا

ودَمْـــعُ عَـــيني كَفَـــيْضِ الغُـــرُوبْ

بَـــاتُوا وفِـــيهم طِفْلَـــةٌ حـــرةٌ

تَفْتَـــرُّ عَـــن مِثْـــلِ أَقَـــاحِي الغُـــرُوبْ

فالغروب الأول غروب الشمس، والثاني جمع غَرب وهو الدلو

[1] السيوطي: المزهر (406/1).

العظيمة المملوءة، والثالث جمع غَرب وهو الوهاد المنخفضة[1]، وقد انقسم أهل اللغة حول المشترك إلى فريقين؛ فريق يثبته وفريق ينفيه.

المثبتون للمشترك اللفظي:

وهم جمهرة أهل اللغة بل وصرّح د.أحمد مختار عمر بالإجماع فقال: "انعقد إجماعهم على وجوده"[2] مستشهدا بقول سيبويه: "اعلم أن من كلامهم اتفاقَ اللفظين لاختلاف المعنيين"[3]، وهذا الرأي له ما يبرره من الأدلة المنطقية والشواهد الواقعية، بسبب ما يلحق اللغة من تطور وتغير يصيب دلالاتها من الإشارة إلى مدلولات جديدة قد تتقاطع في الألفاظ الدالة عليها[4]، وينقل السيوطي عن فريق من علماء اللغة ضرورة وجود المشترك "لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، فإذا وزع لزم الاشتراك"[5]، ويعتبر الاشتراك مزية في كلام العرب وهو عند بعض العلماء "من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجها وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر"[6].

---

[1] ينظر السيوطي: المزهر (376/1)

[2] د. أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص156.

[3] سيبويه: الكتاب (24/1).

[4] سنتعرض لأسباب التغير في الدلالات في الفصل السادس.

[5] السيوطي: المزهر (406/1).

[6] السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ص206.

منكرو المشترك اللفظي:

لا تنقل إلينا المصادر اللغوية من نفاة ظاهرة الاشتراك اللفظي من العلماء المعتبرين سوى ابن درستويه الذي أعلن نفيه في معرض تعليقه على من عدّ لفظة (وَجَدَ)[1] من المشترك، فقال: "هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أن من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه لأن سيبويه ذكره في أول كتابه، وجعله من الأصول المتقدمة، **فظن من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة، وإنما هذه المعاني كلّها شيء واحد**، وهو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا ولكن فرّقوا بين المصادر"[2].

فابن درستويه لا يسلّم بمقولة سيبويه المتقدمة ولا بالشاهد الذي احتج به مثبتو الاشتراك، ويعتبر أن تلك المعاني التي تبدو مختلفة في الظاهر ليست في الحقيقة إلا معنى واحدا يدرك بالتأمل وتتبع أصله كما الشأن في الفعل (وجد).

الرأي الوسط:

يذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى "أن كلا الفريقين قد أسرف فيما ذهب إليه، وبعُد عن جادة الصواب في بحثه، إذ لا معنى

---

[1] يقال: وجدت الضالة بمعنى أدركتها، وجدت على الرجل من الموجدة أي غضب، ووجدت زيدا كريما أي علمت.

[2] السيوطي: المزهر (384/1)

لإنكار المشترك اللفظي مع ما روي لنا في أساليب العربية الصحيحة من أمثلة كثيرة لا يتطرّق إليها الشك، كذلك لا معنى للمغالاة في رواية أمثلة له مع ما في هذا الباب من التعسف والتكلّف"[1]، فالمشترك ظاهرة لا يمكن نكرانها في لغة العرب واللغات الإنسانية، تنشأ نتيجة التطور اللغوي وتتسع دائرته بفعل متطلبات العصر ومتغيرات الحياة، مثل "لفظ **المخالفة** الذي يستخدم في المجال الرياضي – في بعض البيئات اللغوية العربية- بمعنى الخطأ، وهو يستخدم أيضا في المجال الشرطي والمروري، ولفظ **المقابلة** الذي تشير دلالته العامة إلى التقابل أو اللقاء، وهو أيضا مصطلح بلاغي يعني إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة، ويستخدم اللفظ الآن في بعض البيئات اللغوية العربية بمعنى المباراة (Match)"[2]، وفي نفس الوقت يجب الإقرار بأن هناك ألفاظا من قبيل المجاز عدّها البعض مشتركا لفظيا، "فكلمة الهلال حين تعبّر عن هلال السماء، وعن حديدة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال، وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها الهلال، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال، لا يصح إذن أن تعد من المشترك

[1] د.إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية ص214، نقلا عن د.فريد عوض حيدر: علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية) ص139.

[2] د.فتح الله أحمد سليمان: مدخل إلى علم الدلالة ص40.

اللفظي لأن المعنى واحد في كل هذا، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات"[1].

التضاد:

يعد التضاد جزءا من المشترك اللفظي إلا أنه يتميّز عنه في كونه اللفظ الواحد الدال على معنيين متضادين لا مجرد مختلفين، كالظن للشك واليقين، والجون للأبيض والأسود، وبينَ للوصال والفراق، والقرء للطهر والحيض، وقد اختلف أهل اللغة في أمره مابين ومثبت ومنكر.

مثبتو التضاد:

يقرّ بوجود ظاهرة التضاد عددٌ كبير من اللغويين منهم الأصمعي (216هـ) وابنُ السكيت (244هـ) وابنُ الأنباري (328هـ) وابنُ فارس (395هـ)، ولعل أبا بكر ابن الأنباري أهم من يمثل هذا الفريق؛ فقد استمات في الدفاع عن ظاهر الأضداد في اللغة من منطلق أيديولوجي أولا ولغوي في المقام الثاني، فتيار الشعوبيين في عصره اتخذ ظاهرة الأضداد مدخلا للطعن في العربية ووسمها بالتناقض والاضطراب، فقام ابن الأنباري في وجهه متهما الشعوبيين بالزيغ

[1] د.إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص214.

والازدراء بالعرب والتلبيس على الناس، ثم شرع في الرد العلمي المؤسس بالقول: "كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يُعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين، لأنها تتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، فلا يراد بها حين التكلّم والإخبار إلا معنى واحدٌ، ومن ذلك قول الشاعر:

كلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ المَوتَ جَلَلْ والفَتَى يَسْعَى وَيُلهِيهِ الأَمَلْ"[1]

فلفظة جلل تدل العظيم والحقير، وهي في هذا البيت بالمعنى الثاني.

وفي كلام ابن الأنباري التفاتة مهمة إلى أهمية السياق في تحديد المعنى، وتوجيهه وفق مراد المتكلّم، لئلا يتشتت فكر السامع في تتبع مختلف المعاني التي يدل عليها اللفظ، وينحصر باله في معنى واحد يدعوه إليه سياق الكلام.

والعلماء المثبتون لظاهرة الأضداد متفاوتون فيما بينهم ما بين موسع لدائرته ومضيق، حصرهم الدكتور أحمد مختار عمر في أربعة طوائف[2]:

---

[1] السيوطي: المزهر (397/1).

[2] ينظر هذا التقسيم مفصلا في كتابه علم الدلالة ص196 وما بعدها.

الموسعون:

ويدخِلون في الأضداد ما كان ناتجا عن اختلاف اللهجة، ومنهم ابن السكيت الذي اعتبر **لقتُ** الكتاب كتبتُه ومحوتُه، مع أنه ينص على أن المعنى الأول لغة عقيل والثاني لسائر العرب، ومنهم أبو الطيب اللغوي الذي يرى **السُّدفة** من الأضداد رغم نصه أنها الظلمة في لغة تميم والضوء في لغة قيس.

المضيّقون:

ولا يجعلون النوع السابق من الأضداد، كابن دريد الذي اشترط أن يكون الضدان من لغة واحدة، وأبي علي القالي الذي أخرج من الأضداد ما يعود إلى معنى عام واحد، **كالصريم** يطلق على الليل والنهار لأن كلا منهما انصرم عن الآخر، "ومنهم من اخرج من الأضداد الألفاظ التي جاءت أضدادا بسبب دلالة الصيغة الصرفية الواحدة على معنى وضده، مثل **المُبْتَاع** بمعنى المشتري والشيء الذي يشترى"[1].

المبالغون في التوسيع:

وهم كثيرون منهم أبو حاتم وقطرب وابن الأنباري الذين أدخلوا

[1] د.فريد عوض حيدر: علم الدلالة (دراسة نظرية وتطبيقية) ص150.

في الأضداد ما أخرجته الطائفة الثانية، فاعتبروا صيغة "فعيل" من الأضداد لدلالتها على الفاعل والمفعول كالأمين للمؤتمِن والمؤتَمن، واعتبروا من الأضداد أيضا "نحن" لدلالتها على التثنية والجمع و"ما" تكون موصولة ونافية.

المبالغون في التضييق:

وهم في المعظم من المحدثين وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس الذي اعتبر الألفاظ المتضادة محصورة في حدود عشرين كلمة وهي آيلة للانقراض والزوال، ويقول الدكتور فتح الله أحمد سليمان: "نحن نميل إلى الإقرار بوجود ظاهرة الأضداد في اللغة، ولكنها ظاهرة محدودة في ألفاظ قليلة يمكن إحصاؤها، كما أن طبيعة التطور اللغوي جعلت كثيرا من الألفاظ التي تعد من الأضداد ألفاظا مهجورة، مثل **الجون** للأبيض والأسود، **والصريم** لليل والنهار، **والنحاحة** للسخاء والبخل، **والسُّدفة** للضوء والظلمة"[1]

منكرو التضاد:

إن منكري التضاد قلة من العلماء منهم ثعلب (**291**هـ) الذي اعتبره مخالفا لمنطق اللغة لأنه ينافي غايتها وهي التواصل بين المتكلّمين والبيان عن ضمائرهم، فيقول: "ليس في كلام العرب ضدٌ لأنه لو

[1] د.فتح الله أحمد سليمان: مدخل إلى علم الدلالة، ص44.

كان فيه ضدٌ لكان الكلام محالا"[1]، أما ابن درستويه (347هـ) فقد ظل موقفه في الأضداد منسجما مع رأيه المنكر للمشترك اللفظي بالكلية، ونفى القالي الأضداد بتتبعه لعلل وقوعها فقال "**الصريم**: الصبح سُمي بذلك لأنه انصرم عن الليل، **والصريم**: الليل، لأنه انصرم عن النهار، **وليس هو عندنا ضداً**"[2]

ويتفق منكرو التضاد على الرجوع إلى أصل اللفظة "فهم لا يقبلونها دون الرجوع إلى أصلها، فإذا عادوا إلى أصلها لم يجدوها من الأضداد"[3].

الترادف:

عرّفه الفخر الرازي بأنه "هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد"[4]، وقد لقي هو الآخر قبول فئة من اللغويين ورفض فئة أخرى.

مثبتو الترادف:

وفي مقدمهم ابن خالويه (324هـ) وابن جني (392هـ)

---

[1] أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص194.

[2] السيوطي: المزهر (396/1)

[3] د.فريد عوض حيدر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ص146.

[4] السيوطي: المزهر (402/1)

والفيروزأبادي صاحب القاموس المحيط (817هـ)، فابن خالويه حكى عن نفسه أنه يحفظ للسيف خمسين اسما، ولابن جني في كتابه الخصائص (بابٌ في تلاقي المعاني، على اختلاف الأصول والمباني) قال فيه: "هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة، قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها، فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه"[1]، ثم ذكر شواهد للترادف منها **الطبيعة والنحيتة والغريزة والنقيبة والسجية والطريقة**.. وللفيروزأبادي كتاب في الترادف سمّاه (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف).

ولا يعتبر أهل هذا الفريق الترادف ترفاً ولا لعباً بالكلام، وإنما هو لغايات بلاغية منها[2]:

1. تنويع طرق التبليغ عما في النفس في حال النسيان أو تعسّر النطق، فيذكرون أن المتردفات جنّبت واصل بن عطاء من نطق الراء وكان ألثغَ، فمدحه بشار بقوله:

ويجعلُ البُرَّ قمحاً في تصرُّفه

وجانَبَ الرَّاءَ حتّى احتَالَ للشِّعْرِ

---

[1] ابن جني: الخصائص (113/2).

[2] ينظر السيوطي: المزهر (406/1)

ولمْ يُطِـــقْ مَطَـــرًا والقـــولُ يُعجِلُـــهُ

فَعَـــاذَ بالغَيْـــثِ إشْـــفاقاً مـــن المَطَـــرَ

2.التماس طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر، بإيجاد البدائل اللفظية التي تمكّن من تجاوز عوائق الأوزان والقوافي وأصناف البديع، وباختيار اللفظ المناسب مراعاةً لمقتضى الحال، لأن الذي يصلح في مقام قد لا يصلح في مقام آخر.

منكرو الترادف:

أما رافضو الترادف فمنهم ابن الأعرابي (231هـ)، وثعلب (291هـ)، وابن درستويه (330هـ)، وأبو علي الفارسي (377هـ)؛ هذا الذي سَخِر من ابن خالويه في دعوى حفظه خمسين اسما من أسماء السيف، قائلا: "هذه صفات، وكأن الشيخ لا يفرّق بين الاسم والصفة"[1]، ولعلّ أهم اسم يبرز من أسماء الرافضين للترادف هو أبو هلال العسكري الذي ألف كتاب الفروق في اللغة في إنكار الترادف جاء في مقدمته: "الشاهد على اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالةَ الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرُف، فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير

[1] السابق (405/1).

مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي بما لا يفيد... وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد، لأن في ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه"[1].

ولم يكتف أبو هلال بهذا النفي النظري بل خصّص معظم كتابه لتفنيد الظاهرة تطبيقيا، بإثبات الفوارق الدلالية بين الألفاظ الموهمة للترادف، فيقول مثلا "**الفرق بين الأثر والعلامة**: أن أثر الشيء يكون بعده، وعلامته تكون قبله، تقول الغيوم والرياح علامات المطر، ومدافع السيول آثار المطر"[2]، وأمثلة ذلك كثيرة.

الرأي الوسط:

إن الفصل في أمر إثبات الترادف من عدمه ليس بالانحياز والذاتية، وإنما بالروح العلمية والموضوعية، فلا يمكن ببساطة إنكار الترادف بالكلية، كما لا تجوز توسعة مجاله كما عند المغالين في الإثبات، ومن ثمّ وجبت الإشارة إلى قسمة المحدثين للترادف حين قالوا بالترادف الكامل وبأشباه الترادف[3]، فالأول

---

[1] أبو هلال العسكري: كتاب الفروق ص13-15

[2] السابق ص5 الفرق رقم 41.

[3] أشار د.أحمد مختار عمر في كتابه علم الدلالة ص220 وما بعدها إلى هذه الأقسام على النحو التالي: الترادف الكامل، شبه الترادف، التقارب الدلالي، الاستلزام، استخدام التعبير المماثل، الترجمة والتفسير.

كادوا يجمعون على إنكاره لاستحالة التطابق بين معنيين اثنين من دون أن تكون بينهما بعض الفروق في المعنى الأساسي أو الإضافي أو الأسلوبي أو النفسي أو الإيحائي ، والثاني اتفقوا على إثباته، لأن اللفظتين قد تتفقان في المعنى الأساسي وتختلفان في بعض الظلال الهامشية التي تصاحب المعنى، مثل (مريض) و(عميد) "إذ لو كان اللفظان مترادفين ترادفا كاملا وتاما، لكان بإمكاننا أن نستبدل لفظ مريض بلفظ عميد في البيت المشهور الذي لا يعرف قائله:

يَلُومُونَنِي فِي حُبِّ لَيْلَى عَوَاذِلِي وَلَكِنَّنِي مِنْ حُبِّهَا لَعَمِيْدُ

فلو قلنا ولكنني من حبها لمريض ما ظفرنا بالدلالات ذاتها، ففي لفظ عميد –وهو من هدّه العشق- من الدلالات وظلال المعاني ما ليس في مريض"[1]، ويعترف أولمان بأن الترادف التام بخلاف شبه الترادف لا يقوى على مقاومة الزمن فيزول ويندثر: "فإذا ما وقع هذا الترادف التام، فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة؛ حيث إن الغموض الذي يعتري المدلول، والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه"[2].

---

[1] د.فتح الله أحمد سليمان: مدخل إلى علم الدلالة ص36.

[2] ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة د.كمال بشر، عن السابق ص37.

أنواع المعنى:

إن المعنى أو الصورة الذهنية للشيء ليس قابعا على الدوام في المعجم باعتباره المدونة الرئيسة للغة، لأن أكثر تلك المعاني يعسر القبض عليها وإيداعها المعاجم، فهي منفلتة ومتقلبة ومتلونة بحسب الأشخاص والأمزجة والفروق الفردية والبيئات والسياقات التي ترد فيها المفردة.. فمن الصعوبة وضع معنى نهائي للكلمة لا يتبدل بمرور الأوقات أو تعاقب الأشخاص، ولذلك رأى علماء الدلالة أن المعنى يتجاوز المعجم، وميزوا بين خمسة أنواع من المعاني[1]:

1.المعنى الأساسي أو التصوري:

وهو المعنى الذي تحمله الوحدة المعجمية حينما ترد مفردة، مثل امرأة: +إنسان –ذكر +بالغ، صبي: +إنسان +ذكر –بالغ.

2.المعنى الإضافي أو الثانوي:

وهو معنى زائد على المعنى الأساسي يدرك من خلال سياق الجملة، ويتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة، فكلمة **يهودي** مثلا تملك معنى أساسيا وهو الشخص المنتمي إلى الديانة اليهودية، لكن معناها الإضافي أو الثانوي عند الجزائريين هو الشخص الخبيث الشرير.

---

[1] ينظر حول هذه الأنواع د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص36 وما بعدها.

3.المعنى الأسلوبي:

وهو الذي يحدد الملامح الاجتماعية والجغرافية والثقافية للمتكلّمين، فمثلا (أبي- بابا- بويا- أبًّا) وإن كانت تبدو متفقة في المعنى الأساسي إلا أنها في الاستعمال تحيل كل منها على ملمح من ملامح المتكلّم بها، فـ(أبي) عربي فصيح يستعملها ذوو الثقافة العربية والميل الإسلامي، و(بابا) عامي راق، و(بويا) و(أبًّا) عاميان مبتذلان وكلٌّ منهما يحيل على منطقة جغرافية ينحدر منها المتكلّم.

4.المعنى النفسي:

وهو معنى ذاتي شخصي ويشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد، ولا يتميّز بالتداول بين الأفراد، ويظهر ذلك بوضوح في كتابات الأدباء وأشعار الشعراء التي تنعكس فيها المعاني النفسية للأديب أو الشاعر.

5.المعنى الإيحائي:

وهو ذلك النوع من المعنى الذي يتصل بالكلمات ذات القدرة على الإيحاء نظراً لشفافيتها، بسبب:

أ.التأثير الصوتي المباشر كالأصوات المحكية: مواء (القطة)

خرير (الماء)، وغير المباشر كالقيمة الرمزية للكسرة التي ارتبطت في الأذهان بالصِغر.

ب.**التأثير الصرفي**: كالكلمات المنحوتة مثل **بحتر** للقصير من (بتر وحتر).

ج.**التأثير الدلالي**: ويتعلّق بالكلمات المجازية أو المؤسسة على المجاز، فغالباً ما يَترك المعنى الأكثرُ شيوعاً أثرَه الإيحائي على المعنى الآخر، كالتعابير البديلة الدالة على الجنس وبعض المحرّمات (Tabous).

وإجمالا فإن "تقسيم المعنى في علم الدلالة يخضع لمبدأ عام ملخصه أن القيمة الدلالية للوحدة المعجمية لا يمكن اعتبارها دلالة قارة، إنما يخضع تحديد تلك القيمة لمجموع استعمالات هذه الصيغة في السياقات المختلفة"[1].

أقسام الدلالة:

وبالإضافة إلى تقسيم المعنى باعتبار ما يدل عليه، فإن هناك تقسيما آخر باعتبار العلاقة التي تربط الدال بالمدلول، وهي ثلاثة اعتبارات: الطبيعة والمنطق والعرف، وتبعا لذلك فالدلالة إما طبيعية

[1] د.عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه ص67.

أو منطقية أو عرفية[1].

1.الدلالة الطبيعية:

هي التي تربط بين حقيقة ظاهرة وأخرى غائبة فتجعل من الحاضرة دليلا على الغائبة بتحكيم السببية أو العلّية، كدلالة الحمرة على الخجل والصفرة على الوجل (الخوف)، ويعزى وجود هذا الارتباط بين الدال والمدلول إلى السنن الكونية التي تسير وفقها الطبيعة، فالحدث الطبيعي إذا تكرّر أمكن للعقل المدرِك أن يعقد بينه وبين الشيء الذي أحدثه علاقة، على النحو الذي نفعله في الاستدلال بأحوال الجو وما يطرأ عليه من تغيرات نلاحظها كالسحب والرياح، وكاستدلال الأطباء بالأعراض والقرائن والأمزجة على نوعية المرض وخطره وقدرته على التأثير.

وبناءً على ذلك فالدلالة الطبيعية ليس بين الملزوم فيها واللازم أو السبب والمسبَّب ارتباط عقلي، إلا أن النظام الذي وضعه الله في الطبيعة قد أوجد هذا الترابط.

2.الدلالة المنطقية (العقلية):

وهي التي يتحول الفكر فيها من حقائق حاضرة إلى حقائق غائبة عن طريق المسالك العقلية المتنوعة، ويمثل لتعريفها عادة بدلالة

[1] تنظر هذه الأقسام في المرجع السابق ص67 وما بعدها.

الدخان على النار، ويتحدد هذا النوع من الدلالة وفق ثلاثة مسالك:

أ.مسلك البرهان القاطع: وهو الذي يتقيد بقيود المنطق العقلي، فإذا سألت عن جنس الحاضرين فأجبت بأن بعضهم ذكور عرفت أن بينهم إناث.

ب.مسلك القرائن الراجحة: وهو الذي يفضي إلى تسليم ظني يأخذ في البدء بمعطيات هي في منزلة "العلامات الدالة" وبواسطة القرائن المنطقية يستكشف "مدلول" تلك العلامات، كما الشأن في التحقيقات الجنائية.

ج.مسلك الاستدلال الرياضي: وهو يعني الانتقال من المعلوم فرضاً إلى المجهول تقديراً، كما في المعادلات الرياضية، فإذا كانت س+1=2 فإنها تستلزم س=1.

3.الدلالة العرفية:

وهي ما تواضع عليه الناس من اصطلاحات لا تدرك مدلولاتها إلا بالعلم المسبق بطبيعة الارتباط بين الدال والمدلول، فالدلالة العرفية تنشأ فرديا ثم تحظى بالقبول فيحتضنها الناس فتصير اجتماعية، كاتخاذ تقبيل جبهة المسنين دلالة على التوقير والاحترام، واللفظ في الدلالة العرفية إما أن يدل على تمام معناه، أو بعضه أو على معنى

ملازم له عقلا أو عرفا ، وبناءً على ذلك قسّم المناطقةُ الدلالةَ العرفية اللفظية إلى ثلاثة أقسام: مطابقة وتضمن والتزام.

أ-دلالة المطابقة: وهي دلالة اللفظ على تمام معناه الحقيقي والمجازي، · فلكسيم "إنسان" يحمل المقومات التمييزية التالية: "+الجسم +الحي +الحساس +الناطق"، وعليه تكون دلالة المطابقة دلالة اللفظ الكلّي على مجموع هذه المقومات التي تؤلف الذات أو الكنه.

ب-دلالة التضمن: وهي دلالة اللفظ على بعض معناه الحقيقي أو المجازي، فكلمة "إنسان" تدل بالمطابقة على الحيوان الناطق، وبالتضمن على الجسم مثلا أو على الناطق أو على الجسم الحي.

ج-دلالة الالتزام: وهي كون اللفظ دالا على معنى آخر خارجٍ عن معناه لازمٍ له عقلا أو عرفا، كدلالة الحاجب على العين، والسقف على الجدران.

ويمكننا ترسيم كلّ أقسام الدلالة ضمن الشكل التالي:

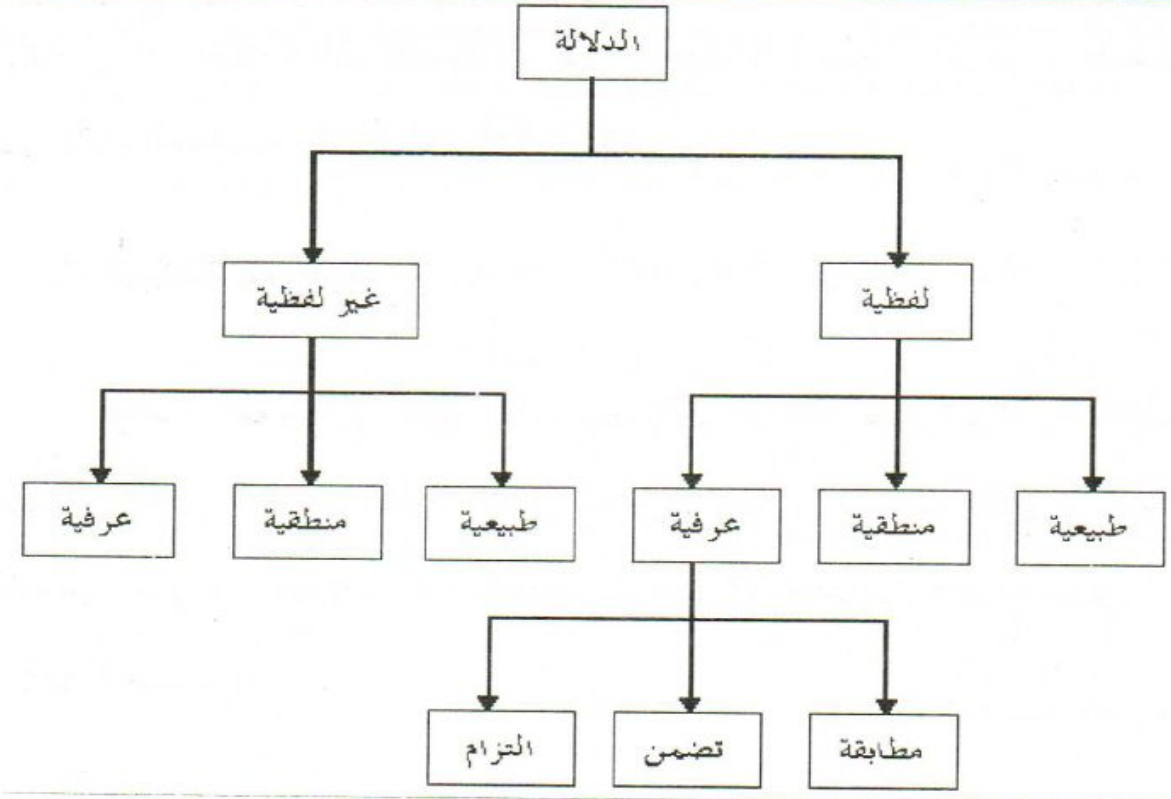

أقسام الدلالة باعتبار واضعها:

يقدّم علماء الأصول في باب الحقيقة والمجاز تقسيما مبتكرا للدلالة الحقيقية يقوم على طبيعة واضعها، وهو عندهم إمّا اللغة أو العرف أو الشرع، وبذلك تكون الحقيقة (الدلالة) إما لغوية أو عرفية أو شرعية:

الدلالة اللغوية:

وتسمى الوضعية "هي الحقيقة، وهو اللفظ المستعمل في وضعه

الأصلي"[1]، مثال ذلك الصلاة، فإن حقيقتها اللغوية الدعاء، فتُحمل على تلك الحقيقة في كلام أهل اللغة.

الدلالة العرفية:

وهذا القسم والذي بعده يمثلان مرحلة من مراحل التطور الدلالي الذي يصيب اللغة، فقد تتجاوز المفردة دلالتها اللغوية الأولى وتتلبس بلبوس العرف الاجتماعي لأحد الاعتبارين كما يرى ابن قدامة المقدسي:

الاعتبار الأول: وهو "أن يخصِّصَ عرفُ الاستعمالِ من أهل اللغة الاسمَ ببعض مسمّياته الوضعية، كتخصيص الدابة بذوات الأربع مع أن الوضع لكل ما يدب على الأرض"[2]، وهو ما عبّر عنه علم الدلالة الحديث بتخصيص الدلالة، بأن ينتقل المعنى من الدلالة الكلية إلى الدلالة الجزئية، وهذا ما يؤكّد فطنة علماء الأصول المسلمين إلى أهمية الدور الاجتماعي في تطوير اللغة وتحرير دلالاتها.

الاعتبار الثاني: تغليب المعنى المجازي على المعنى الحقيقي وهو

---

[1] ابن قدامة المقدسي: روضة الناظر وجنة المناظر ص173.

[2] المصدر السابق ص173.

"أن يصير الاسم شائعا في غير ما وضع له أولاً، بل هو مجازٌ فيه"[1]، **كالظعينة** وهي الراحلة ثم أطلقت على المرأة التي تركبها، **والغائط** وهو المكان المنخفض الذي كان الناس يأتونه لقضاء حوائجهم ثم أطلق على الخارج المستقذر من الإنسان، وفي المثال الأخير التفاتة متقدمة جدا إلى مفهوم اللامساس الذي أطلقه الدرس الدلالي المعاصر وقصد به تدخّل المجاز لتلطيف بعض الدلالات لدواعٍ نفسية أو اجتماعية، ثم تصير تلك الدلالات المجازية جارية على الألسن لتتراجع الدلالة الحقيقة شيئا فشيئا.

الدلالة الشرعية:

يعرفها الشوكاني بقوله: "هي اللفظ المستعمل فيما وضع له بوضع الشارع لا بوضع أهل الشرع"[2]، ويعني بوضع الشارع أي القرآن والحديث، ويقول ابن قدامة: "وأما الشرعية فهي الأسماء المنقولة من اللغة إلى الشرع كالصلاة والصيام والزكاة والحج"[3]، فالدلالة الشرعية تمثّل مرحلة تحوّل تصيب الدلالة الأولى، بأن يقوم الشارع

---

[1] السابق ص173.

[2] محمد بن علي الشوكاني: إرشاد الفحول ص33.

[3] ابن قدامة المقدسي: روضة الناظر ص173.

الحكيم باستحداث دلالات جديدة لصيغ قديمة لتدل على معنى شرعي غير مسبوق في اللغة.

إن هذا التقسيم الذي جرى عليه الأصوليون فيه اعتراف ضمني بظاهرة التطور الدلالي التي تعد أهم مباحث علم الدلالة، فالحقيقة اللغوية تعتبر المرحلة الأولى التي ينشأ عنها فعل التطور، لتأتي بعد ذلك المرحلتان الأخريان وهما الحقيقة العرفية والحقيقة الشرعية اللذان يعبّران عن دلالات ناشئة ومختلفة عن الدلالة اللغوية.

الفصل السادس:
التطـــــور الدلالي

اللغة إفرازٌ لنشاط عقلي تحكمها حركة مستمرة نحو التجدد والتغيّر تبعا للحاجة الاجتماعية والتطور الحضاري، مما أنتج كمّا هائلا من المفردات المولّدة والدلالات الجديدة وأفقد أخرى صفة الحياة والديمومة، فأمست مهجورة الاستعمال مرغوبا عنها، ولقد أثارت هذه المسألة اهتمام علماء الدلالة منذ أوائل القرن التاسع عشر، فحاولوا خلاله تأطير تغيرات المعنى بقواعد وقوانين، فدرسوا أسباب تغير الدلالة وأشكاله وصوره، ولم يقصدوا بالتطور الدلالي المفهوم الإيجابي للتطور كما قد يتبادر إلى الأذهان، وإنما أرادوا به **التغيرات المختلفة التي تتعرض لها اللغة في أصواتها أو تراكيبها أو دلالاتها**، يقول الدكتور عبد السلام المسدي: "إن الحقيقة العلمية التي لا مراء فيها اليوم هي أن كل الألسنة البشرية ما دامت تتداول فإنها تتطور، ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا إيجاباً ولا سلباً، وإنما هو مأخوذ في معنى أنها تتغير إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبي في الأصوات والتركيب من جهة ثم في الدلالة على وجه الخصوص، ولكن هذا التغير هو من البطء بحيث يخفى عن الحس

الفردي المباشر"[1].

إن رصد التغيرات الدلالية يستدعي تأملا علميا واعيا للألفاظ على الصعيدين الوصفي والتاريخي (السانكروني والدياكروني)، فالمعنى ليس حالة ثابتة ملازمة للفظ على الدوام، وإنما هو مادة مرنة تخضع لسيطرة السياقات ومختلفِ المؤثرات الاجتماعية والتاريخية والثقافية.. فكثيرةٌ هي المعاني التي غلب علينا توظيفُها مجازيا فنسينا دلالتها الحقيقة، أو غلب معناها الإضافي على الأساسي حتى أصبحنا لا نعرف غيره، يقول بيير جيرو: "يتغير المعنى لأننا نعطي اسماً عن عمد لمفهوم ما من أجل غايات إدراكية أو تعبيرية، إننا نسمي الأشياء ويتغير المعنى لأن إحدى المشتركات الثانوية (معنى سياقي، قيمة تعبيرية، قيمة اجتماعية) تنزلق تدريجياً إلى المعنى الأساسي وتحل محله فيتطور المعنى"[2].

وتطورُ دلالات الألفاظ يتجلى في نوعين: تلقائي ومقصود، أما **التلقائي** فتغيّرٌ جبري لا توقفه الأهواء الفردية، "إنه غير واع ومتدرج، وهو وإن كان يحتوي على اتفاق جماعي، إلا أن هذا الاتفاق غير ظاهر، وإن المعنى الجديد يفرض نفسه شيئا فشيئا بموجب الأمر

---

[1] د.عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية، ص38، نقلا عن السابق ص 72.

[2] بيير جيرو: علم الدلالة ترجمة منذر العياشي ص99.

الواقع، ويظل هكذا حتى يقبله"[1]، وذلك مثل الألفاظ الكثيرة التي نستخدمها اليوم بدلالات تختلف قليلا أو كثيرا عن دلالاتها القديمة، بل إننا نجد أنفسنا أحيانا كثيرة مجبرين على نطق ألفاظ جديدة فرضها الشيوع الاجتماعي بدون أن نتساءل عن أول من أطلقها.

أما **التطور المقصود** فتلجأ إليه الجماعة عند الضرورة لسدّ حاجتها إلى ذلك، كما الشأن في الاصطلاحات العلمية وأسماء المخترعات الجديدة، وغيرها مما يضطر المتخصصين إلى اختراع ألفاظ جديدة تستجيب لمستجدات الحياة كما يفعل علماء المجامع اللغوية اليوم، ولذلك فإن التطور المقصود عملية واعية، تنشأ عن وعي وإدراك وتَلقى القبول والرواجَ عن وعي وإدراك أيضا.

عوامل التطور الدلالي:

والتطور الدلالي ليس حركة خارج نواميس الطبيعة بل هو جزء من فاعلية الحياة الخاضعة لقانون السببية ومبدأ العلية، وتبعا لذلك فإن هناك عواملَ موضوعيةً تحرك هذا التطور وتسيِّره في اتجاه التكيّف مع قوانين البقاء، وتتلخص عوامل التطور الدلالي في ثلاثة عوامل:

---

[1] السابق ص71.

1.العامل الاجتماعي والثقافي:

إن الحراك الاجتماعي والنشاط الثقافي يفعّلان اللغة، ويمدانها بالطاقة المطلوبة لتنشيط المستوى الدلالي، فينتج عن ذلك دلالاتٌ جديدةٌ تثري اللغة وتستجيب لقوانين التطور الاجتماعي والثقافي، فمثلا الدين الإسلامي في المراحل الأولى من تاريخ الأمة قد حرّك البنية الاجتماعية والثقافية ضمن منظومة تشريعات وعقائد تطلّبت تعابير تساير متطلبات المرحلة، كالصلاة والمؤمن والفاسق والكبائر وغيرها، كما توارت ألفاظٌ تصادم دعوة الإسلام مثل قول المملوك لمالكه "ربي"، أو "المرباع" وهو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية..[1]

2.العامل النفسي:

إن اللغة تمنحنا البدائل التي تمكننا من مراعاة الأذواق والمشاعر فتجنبنا استخدام الألفاظ التي تخدش الحياء وتثير النفوس، كالتي فيها تصريح بالعورات أو الإعاقات الخَلْقية، وهو ما يسمى **باللامساس** فنميل إلى الاستلطاف والتحايل، "وهو في حقيقته إبدال الكلمة الحادة بكلمة أقل حدة وأكثر قبولا"[2]، كإطلاقنا على

---

[1] ينظر أحمد حسن الباقوري: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية ص60 وما بعدها.

[2] د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص240.

المرحاض دورة مياه، وعلى المعوقين اسم ذوي الاحتياجات الخاصة، وعلى الثدي الصدر...

3.العامل اللغوي:

قد تجد اللغة نفسها أمام فجوات معجمية تضطر لسدها عن طريق المجاز أو الاقتراض فيتم نقل مفردات من مجال معيّن إلى مجال دلالي آخر، مثلما نقول: كبد السماء، عين الإبرة، أسنان المشط، رجل الكرسي..

مظاهر التطور الدلالي:

تقوم الدراسات الدلالية بوضع المعنى موضع الفحص والدراسة بغية الخروج برؤيا للمعنى دقيقةٍ تمكّن من تقنين الظواهر المعنوية من أجل الوصول إلى قواعد ضابطة للدلالات، ولقد استطاع البحث برغم العوائق المنهجية المتمثلة أساسا في صعوبة القبض على المعنى ثم لتطوره المستمر أن يصل إلى حصر الأشكال المتغيرة للدلالة في التالي:

1.تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى:

ويقصد به "أن يضيق معنى الكلمة بمرور الزمان، فتتحوّل دلالتها

من معنى كلّي إلى معنى جزئي... أي أن الكلمة أصبحت بالتخصيص دالة عل بعض ما كانت تدل عليه من قبل"[1]، مثال ذلك:

أ.المأتم: فقد كانت تعني مطلق الاجتماع في الخير والشر ثمّ أصبحت تطلق على الاجتماع في مصيبة الموت بخاصة.

ب.خليفة: التي تقلّصت دلالتها من صفة لكل مَن يقوم مَقام الذاهب ويَسُدّ مَسَدّه إلى من يتولى إمارة المؤمنين.

ج.عروس: التي تشمل الرجل والمرأة ثم اختصرت لاحقا في المرأة وحدها.

2.تعميم الدلالة أو توسيع المعنى:

وهو ضد التخصيص بأن يتحوّل المدلول الخاص للفظة إلى مدلول عام، يقول د.أحمد مختار عمر: "ويعني توسيع المعنى أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل"[2]، وهذا المظهر أقل شيوعا في اللغة من السابق، ومن أمثلته:

---

[1] د.فريد عوض حيدر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ص75.

[2] د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص243.

أ.البأس: وتعني الحرب، ثمّ عممت لتدل على كل شدة.

ب.أمير المؤمنين: أُطلقت ابتداءً عل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثمّ توسعت لتشمل كلّ خليفة للمسلمين.

ج.الشلل: وتعني يبس اليد أو ذهابها ثم اتسعت دائرتها الدلالية لتستغرق الجسم كلّه أو شطره.

د.الرافضة: لفظ أطلق على نفر من شيعة الكوفة رفضوا (تركوا) زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الصحابة وسبّهم، ثم اتسعت لتصبح لقباً لفرقة من غلاة الشيعة ممن يطعنون في الصحابة[1]، ومثله لفظ المعتزلة التي ابتدأت وصفا لجماعة من الناس ثم انتهت فرقة كلامية معروفة.

3.رقي الدلالة:

قد تكون الكلمة في عهد ما قبيحة أو مبتذلة فيدخل عليها التغيير لتدل على معان سامية وذات شأن، مثال ذلك: .

أ.رسول: وتطلق على أي شخص أُرسل في مهمة مهما كان شأنها، ثم أصبحت دلالتها أسمى، "فالرسول هو من أوحى الله إليه

[1] ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام ص136.

بشرع وأمِر بتبليغه"[1].

ب.مارشال (maréchal): وهي من أعلى الرتب العسكرية، كانت تعني في اللغة الألمانية خادم الإسطبل أو السائس.

4.انحطاط الدلالة:

وهذا مظهر من التطور يسير في عكس اتجاه المظهر الأول، يقول د.إبراهيم أنيس: "وكثيرا ما يصيب الدلالة بعض الانهيار أو الضعف، فنراها تفقد شيئا من أثرها في الأذهان، أو تفقد مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الرضا والاحترام والتقدير"[2]، فبعض الألفاظ تتحدر دلالتها وتنحط لتعبّر عن معاني مرذولة أو مستقبحة كما في الألفاظ الآتية:

أ.كرسي: وتعني العرش كما في قوله تعالى: "وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ"[3] ثمّ انحطت دلالته لتطلق على ما دون ذلك ككرسي المقهى أو المطبخ أو غيرهما.

ب.الحاجب: استخدمت في الأندلس الإسلامية لتدل على

---

[1] د.عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات ص14.

[2] د.إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص156.

[3] سورة البقرة الآية 255.

منصب يعادل رئيس الوزراء وهي اليوم تدلّ على البواب.

ج.**العامل:** معناه في العصور الإسلامية المتقدمة الوالي ثم امتهنت هذه الكلمة وصارت تطلق على سائر أصحاب الحرف.

د.**الأوباش:** "هم أخلاط من الناس وإن كانوا رؤساء وأفاضل، ولا يخفى أن أوباش اليوم تفارق أوباش الأمس، ذلك أن دلالتها تحتمل ملمحا يثير في النفس انقباضا، إذا ما أطلقت على فرد ما (وَبْش) أو مجموعة متكاثرة (أوباش)"[1].

5.الانتقال الدلالي:

إن هذا النوع من التطور يقوم على تحميل معان لصالح ألفاظ لا تدل عليها في الأصل، فيحصل أن تغيّر اللفظة مجال استعمالها، ككلمة "وتد" مثلا فإنها تعني الجبل نحو قوله تعالى: "**وَالجِبَالَ أَوْتَادًا**"[2] أو أحد أوتاد البيت، وانتقلت إلى علم العروض لتعني ثلاثة أحرف: متحركين وساكن، وكلمة "**الوغى**" التي تشير إلى اختلاط الأصوات في الحرب ثمّ أطلقت على الحرب نفسها، والانتقال في الدلالة يحصل عبر المجاز فهو "يستند إلى مسوغات الشَّبَه الكلي أو

---

[1] د.مهدي أسعد عرار: التطور الدلالي ص184.

[2] سورة النبأ الآية:7.

الوظيفي بين المجالين، أو بين الجزأين الماديين الذين تحرّك اللفظ بينهما"[1]، و"لقد رأى جاكوبسون أن عملية الانتقال المشار إليها تتم من خلال محورين دلاليين مختلفين، فإما بواسطة المشابهة (similarité) وإما بواسطة المجاورة (contiguité) فنتكلّم على الاستعارة في المحور الأول وعلى المجاز المرسل في المحور الثاني"[2]، ويمكن التمثيل لهذا النوع من التطور من خلال الجدول التالي:

اللفظ	الدلالة الأصلية	الدلالة الثانية	العلاقة	نوعها
الهمج	ذباب صغير يقع على وجوه الدواب	الرعاع من الناس	الفوضى	المشابهة (استعارة)
البيت	المسكن	بيت الشِّعر	التنظيم	
الشوكة	واحدة الشوك من جنس النبات	أداة لالتقاط الطعام	الوخز	
اللسان	جارحة الكلام	اللغة	الآلية	(مجاز

[1] د.فايز الداية: علم الدلالة العربي ص282.

[2] د.صبحي البستاني: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية ص66.

العين	جارحة النظر	الجاسوس	الجزئية	
الصفقة	ضرب البيِّعين أحدهما على يد الآخر	عقد البيع	ملابسة الحال	
المجلس	موضع الجلوس	جماعة إداريين أو علماء..	المكانية	
الكرم بين ثوبيه	وجود الكرم داخل الثوب	نسبة الكرم للابس الثوب	كناية عن نسبة	المجاورة (كناية)
بيض المطابخ	النظافة	البخل	كناية عن صفة	
رفقا بالقوارير	جمع قارورة: الزجاجة	النساء	كناية عن موصوف	

ويتخذ الانتقال في الدلالة أشكالا مختلفة أهمها:

1- 5. الانتقال من الدلالة على المجرد إلى الدلالة على المحسوس:

وكثيرا ما يرد هذا المظهر في كلام الأدباء رغبةً منهم في تجسيد المعاني التي يحسونها في هيئة ملموسة تمكن من نقل العواطف والمشاعر إلى المخاطَبين؛ كقول الشاعر:

وإذا المنيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها ألْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنْفَعُ

فقد جعل المنية - وهي الموت- وحشا كاسرا لا تنفع في مواجهته الرقى والتمائم.

2- 5. الانتقال من الدلالة على المحسوس إلى الدلالة على المجرد:

فقد نوظّف ألفاظا ذات دلالات حسية لتصبح دالة على معان مجرّدة، كلفظة "**قلب**" التي نستخدمها للتعبير على الحب والحنان والعطف.. متجاهلين معناها الاصطلاحي، "ومن ذلك كلمة "**العقيدة**" فهي في الأصل تعني الشيء الثمين الذي يَعقِد عليه الإنسانُ منديلَه حتى لا يضيع ... ثم أصبحت العقيدة ما يستقر في القلب من أمور الفكر والرأي، ثم أصبحت تعني ما يفرض الدينُ تصديقَه والإيمانَ به وعدمَ التفريط فيه، ومن ذلك كلمةُ "**الشرع**" فأصل معناها الاتجاه نحو الشِّرعة وهو مورد الماء...فنُقل اللفظ للدلالة على القانون الذي ينظم حياة الناس فرادى

وجماعات فلا يَضلون"[1].

6.انقراض الكلمات (المُمَات):

عرّفه السيوطي بقوله: "ما كان قديما من اللغات ثم تُرِك واستُعمِل غيرُه"[2]، مما يؤكد فكرة تجدد المخزون اللغوي بموت الدال وهجرانه أو موت المدلول فقط أوهما معا، ومثاله:

أ."**أنعم صباحا**" و"**أنعم ظلاما**" اللتان أميتتا وحلّت محلّهما "**السلام عليكم**".

ب.**اللطيمة**: بمعنى الإبل التي تحمل الطيب التي أميتت ولم تحل محلّها لفظة أخرى لعدم الحاجة إليها.

ج.**الطربال** : الصومعة العظيمة.

د.**التأبط، والاضطباع، والاشتمال، والاحتباء، والتلفع، والتدثر**: وهي ضروب لبس لم تعد قائمة.

هـ.**القديد، والصَّفِيف، والوَشِيق، والعَفِير، والوزِيم**: من أنواع اللحم المجفف عند العرب.

---

[1] د.صلاح الدين حسنين: الدلالة والنحو ص87.

[2] السيوطي: المزهر (214/1)

و.أسماء الأيام في الجاهلية نحو شِبار للسبت، وأوّل للأحد، وأهوَن وأوهَد للاثنين، وجُبار للثلاثاء، ودُبار للأربعاء، ومؤنِس للخميس، وعَروبة للجمعة.

الفصل السابع:
نظريات التحليل الدلالي

يعتبر الوصول إلى نظرية ما في علم من العلوم علامةً على نضجه وبلوغه إحدى غايات العلم، وهذا ما سعت إليه الدراسات اللغوية والدلالية منذ ميشال بريال (M.Breal) في نهاية القرن التاسع عشر، في سعي حثيث لوضع ضوابط منهجية قادرة على التعاطي مع الدلالة بوصفها ظاهرة سريعة التفلّت ومن الصعب جدا القبض عليها ووضعها موضع البحث، فضلا عن أن نتمكن من وضع قوانين ترصد مسالكها وتقدّم رؤية مكتملة عن سيرورتها.

وقد نتج عن مثل هذه العوائق المنهجية اختلافاتٌ في التعامل مع الظاهرة الدلالية تطبيقيا، وهو ما أدى إلى تباينات في الرؤى النظرية كما سيظهر في النظريات المختلفة التي سنعرضها إن شاء الله.

1. النظرية الإشارية:

"تشكل هذه النظرية في مسار علم الدلالة الحديث أولى مراحل النظر العلمي في نظام اللغة، بل إلى أصحابها يرجع الفضل في تمييز أركان المعنى وعناصره، معتمدين في ذلك على النتائج التي توصل إليها فرديناند دوسوسير في أبحاثه اللسانية التي خص بها

الإشارة اللغوية باعتبارها الوحدة اللغوية المتكونة من دال ومدلول"[1]، ويطلق على هذه النظرية أيضا مصطلح "النظرية الاسمية في المعنى" التي تنظر إلى الدلالة على أنها هي المسمى ذاته.

ويعتبر العالمان الإنجليزيان أوجدن (C.K.Ogden) وريتشاردز (I.A.Richards) هما من قدّما هذه النظرية من خلال مؤلّفهما المشترك (معنى المعنى) the meaning of meaning، وتجسّدت فكرتهما في ثلاثة عناصر: الفكرة والرمز والمشار إليه، وجرى تمثيل هذه العناصر في المثلث التالي:

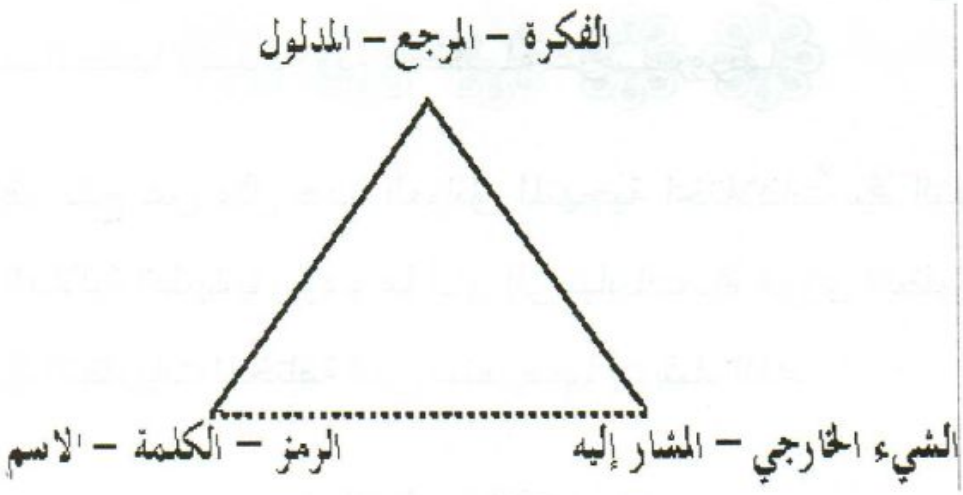

"وتعني النظرية الإشارية أن معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها، وهنا يوجد رأيان:

أ-رأي يرى أن معنى الكلمة هو ما تشير إليه[الرمز- المشار إليه]

[1] د.عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه ص86.

ب.رأي يرى أن معنى الكلمة هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه، [جميع جوانب المثلث]"[1].

ومن الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية أنها تدرس اللغة من خارج إطار اللغة بتركيزها على المشار إليه (العالم الخارجي)، كما أنّ حصرها المعنى في المشار إليه يعيق التوصل إلى معاني بعض الكلمات التي لا تمكن الإشارة إليها كحروف العطف والجر وغيرها[2].

2.النظرية التصورية:

تعود جذور النظرية التصورية إلى الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (John Locke) (القرن السابع عشر) الذي سماها النظرية العقلية ونادى فيها بأن "استعمال الكلمات يجب أن يكون الإشارة الحساسة إلى الأفكار، والأفكار التي تمثلها تعد مغزاها المباشر الخاص"[3]، و يتمثّل جوهر هذه النظرية في كون المعنى هو الفكرة التي يمتلكها المتكلّم، "وأصحابها يرون أن الأفكار مرتبطة بحالة من الإدراك التصوري عند عموم الأفراد، وهذا ما يجعل التواصل

[1] د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص55 بتصرّف.
[2] ينظر المرجع السابق ص56.
[3] السابق ص57.

ممكنا ومتحققا"[1]، فيجب على المتكلّم أن يمتلك فكرة حاضرة في ذهنه، ثم يوجِد لها التعبير المناسب القادر على الوصول إلى الجمهور، كما على التعبير أن يتمكن من استدعاء نفس الفكرة في عقل السامع[2].

وبسبب التجريد الذي وسَم هذه النظرية قام بعض العلماء المتأخرين بتطوير النظرية التصورية من خلال ربط المعاني بالأفكار التي تحقق نفعا مشاهَدا ومحسوسا، وعلى رأس هؤلاء شارل سندرس بيرس (C.S.Pierce) صاحب النظرية البراغماتية التي تعد امتدادا للنظرية التصورية، "رأى بيرس أن تصورنا لشيء ما يتألف من تصورنا لآثاره العملية، فالتيار الكهربي مثلا لا يعني مرور موجة غير مرئية في مادة ما، وإنما يعني مجموعة من الوقائع مثل إمكان شحن مولد كهربي أو أن يدق جرس، وأن تدور الآلة، وإذن فمعنى كهرباء هو ما تفعله، فالتصورات المختلفة التي تحقق نتيجةً عمليةً واحدةً إنما هي تصور واحد أو معنى واحد، والتصورات التي لا ينتج عنها آثار لا معنى لها"[3].

---

[1] د.عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة ص556.

[2] ينظر د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص57.

[3] د. محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة ص97 نقلا عن د.عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه ص88.

إن تركيز النظرية التصورية على الفكرة واعتبار المعنى هو الموجودَ في الذهن بقطع الصلة عن العالم الخارجي أمر لا يمكن التسليم به، لأن الأفكارَ والتصوراتِ تتحكّم فيها معطيات الواقع الخارجي، فلفظة "فاكهة" مثلا لا نحمل لها تصورا موحدا، فإذا لم نضبط الدلالة بالمعطى الخارجي ضاع المعنى بسبب تصوراتنا المتباينة، كما أن هناك معانيَ كثيرةً لا نحمل لها تصورات خاصة نتيجةً لطابعها التجريدي.

3.النظرية السلوكية:

إن النظرية السلوكية هي محاولة جادة من أجل إخراج الدرس الدلالي من ضبابية التفسير العقلي إلى دقة التفسير العلمي، وهو ما تجسّد في الاستعانة بعلم النفس على يد العالم اللغوي الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield)، الذي كان يسخر من تعريف سوسير للعلامة بالقول: "ما المتصوّر؟ وما الصورة السمعية الذهنية؟.. لماذا نحاول تفسير شيء غامض وهو الكلمة بشيء أكثر غموضا وهو الفكرة والذهن؟"[1]، فقد شككت السلوكية في المفاهيم الذهنية كالعقل والتصور والفكرة، وجنحت نحو النهج التجريبي الذي

[1] د.صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ص19.

يمكّن من الوصول إلى ضوابط آلية وحتمية[1].

فالسلوكية تنظر إلى اللغة على أنها سلوك كبقية السلوكات القابلة للملاحظة والتجريب فهي تخضع لقانون المثير والاستجابة، ولذلك فإن الدلالة لا يمكن الوصول إليها إلا ضمن هذا القانون، وضرب بلومفيلد لذلك مثالا توضيحيا عبر قصة (جاك) و(جيل) اللذين كانا يتجولان، فرأت جيل تفاحة وبما أنها جائعة طلبت من جاك أن يتسلّق الشجرة ويقطفها لها، ففعل ذلك.

يقدم بلومفيلد وصفا خارجيا لهذه القصة يقوم على الملاحظة والمشاهدة، فيميّز بناء على ذلك بين ثلاث وضعيات:

أ.الوضعية التي سبقت فعل الكلام.

ب.الكلام.

ج.الوضعية التي تلت فعل الكلام.

ومن هذه الوضعيات الثلاث توصّل بلومفيلد إلى أن رؤية التفاحة في حال الجوع تمثل **حافزا حقيقيا** لجيل، نتج عنه **رد فعل نيابي** ممثلا في منطوق صوتي (طلب القطف)، وهناك **حافز نيابي** ممثلا في سماع المنطوق الصوتي، ليؤدي في النهاية إلى **رد فعل عملي** وهو قطف التفاحة، ويركّز بلومفيلد على منطوق جيل ومسموع

[1] ينظر د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص59-60.

جاك باعتبارهما المظهرين الجديرين بالدراسة من قبل اللغوي[1]:

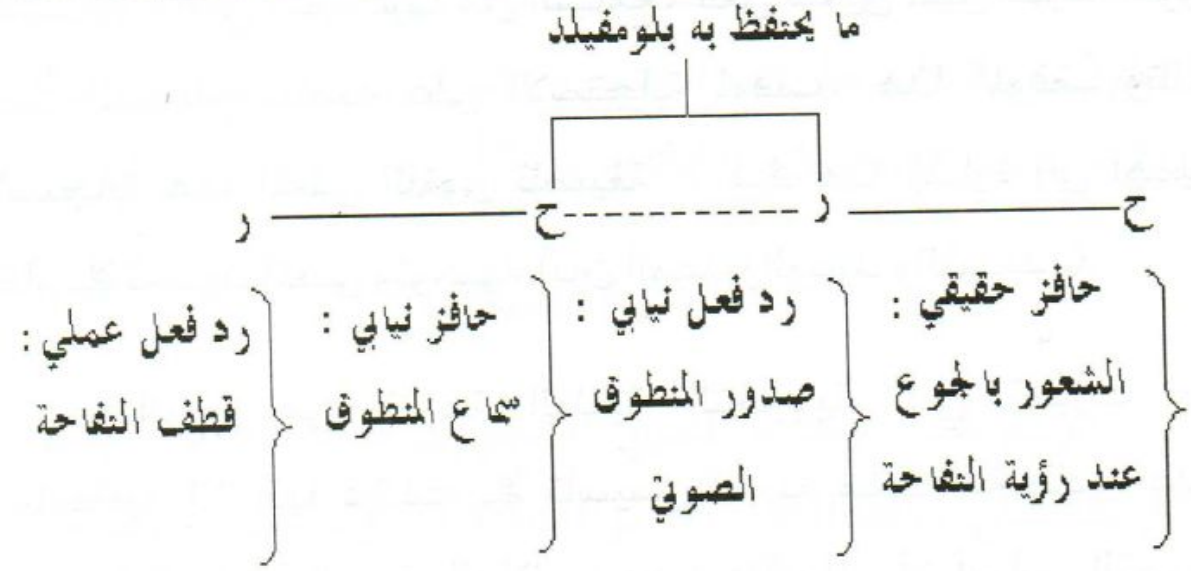

يتّضح من دائرة التواصل هذه أن "المتكلّم حين أدائه الفعلي للكلام يكون قد قام باستجابات نطقية لمثيراتٍ ما تخضع خضوعا مطلقا لحافز البيئة، دون أن ترتبط هذه الاستجابات بأدنى قدر من التفكير، لأن الاستجابة الكلامية مرتبطة بصورة مباشرة بالحافز، ولا تتطلب تدخل الأفكار، وذلك لأن اللغة في نظر السلوكيين لا تعدو أن تكون عادات صوتية يُكيّفها حافز البيئة"[2].

وتكريسا لهذا المبدأ أقرّ بلومفيلد "أن المعنى يتألف من ملامح الإثارة ورد الفعل القابلة للملاحظة والموجودة في المنطوقات، وعرّف

[1] ينظر د.محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا ص31 وما بعدها.
[2] د.أحمد حساني: مباحث في اللسانيات ص152.

معنى الصيغة اللغوية بأنه الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع، فعن طريق نطق صيغة لغوية يحثُّ المتكلم سامعَه على الاستجابة لموقف، **هذا الموقفُ وتلك الاستجابةُ هما المعنى اللغوي للصيغة**"[1]، وفي هذا إشارة إلى أهمية المقام في تحديد المعنى وتوجيهه (بين الوعد والوعيد والتهديد..).

وبالرغم من النزعة العلمية التجريبية التي تميّزت بها السلوكية إلا أنها فشلت في تأسيس نظرية متكاملة قادرة على تقديم رؤية علمية للبحث الدلالي، ومردّ ذلك إلى أن أساس التجربة السلوكية صالح عند الحيوانات أكثر، كما أن هذه النظرية عجزت عن تقديم قوانين تضبط دلالة الصيغة اللغوية ضبطاً يخضع لمعايير علمية دقيقة تنسحب على كل الصيغ والتراكيب اللغوية، فقد تتشابه المواقف ولا تحدث نفس الاستجابات، أو يحصل العكس بأن تتشابه الاستجابات وتكون الحوافز مختلفة، وذلك ما دفع بلومفيلد للتأكيد "أن الكلام والأحداث الفعلية يعتمدان على عوامل من الود المسبق والتي تتألف من تاريخ الحياة الداخلية للمتكلّم والمتلقي معا"[2]، بأن يتعوّدا على سلوكات بعضهما البعض، وهذا ما لا يتحقق في جميع الأحوال، وقد دفع ذلك تلاميذ بلومفيلد لأن

---

[1] د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص61.

[2] د.صلاح الدين حسنين: الدلالة والنحو ص46.

يتخلوا عن التحليل الدلالي ليس لعدم أهميته وإنما لعجز السلوكية عن تقديم نظرية متكاملة علميا وقادرة على الوفاء بمتطلبات الدال والمدلول، وبالتالي فإن هذا التوجه "لم يسهم في تطوير الدراسة الدلالية بسبب تلك النظرة الآلية للمعنى"[1].

4.النظرية السياقية:

تزعّم هذه النظرية اللغوي الإنجليزي فيرث (Firth) وآخرون أمثال هاليداي (Halliday) وليونز (Lyons)، وتؤكد نظريتهم على أن الدلالة تتمثّل في استعمالات الكلمة ووظيفتها داخل المنظومة الكلامية؛ وليس في مدلولها المعجمي الذي يبقى قاصرا عن تبليغ المعنى، "ولهذا يصرّح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية"[2]، ويقسّم علماء الدلالة المحدثون السياق إلى أربعة أقسام:

1 ـ السياق اللغوي.

2 ـ السياق العاطفي.

3 ـ سياق الموقف أو المقام.

4 ـ السياق الثقافي.

---

[1] د.أحمد حساني: مباحث في اللسانيات ص153.

[2] د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص68.

1- 4. السياق اللغوي:

"السياق اللغوي هو كل ما يتعلّق بالإطار الداخلي للغة (بنية النص)، وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، وهي تسبح في نطاق التركيب، وهذا الأمر يتطلّب العودة إلى نظم اللغة الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية للوقوف على ذات الكلمة وماهيتها"[1]، فالسياق اللغوي في قوله تعالى: **"أتى أمر الله فلا تستعجلوه"**[2] يدعونا إلى حمل دلالة الفعل **"أتى"** على المضارعة لا على المضيّ، ويمثل الدكتور أحمد مختار عمر للسياق اللغوي بلفظة **"يد"** التي يفرض عليها معاني متعددة منها:

أ. هم **يد** على من سواهم: إذا كان أمرهم واحدا.

ب. **يد** الفأس ونحوه: مقبضها.

ج. **يد** الدهر: مد زمانه.

د. **يد** الريح: سلطانها.

هـ. **يد** الطائر: جناحها.

و. بايعته **يدا** بيد: أي نقدا.

ز. فلان طويل **اليد**: إذا كان سمحا.

ح. مالي **يد**: أي قوة.

---

[1] د.عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة ص542.

[2] سورة النمل الآية 1.

ط.سقط في يده: أي ندم.

ي.حتى يعطوا الجزية عن يد: عن ذل واعتراف للمسلمين بعلو أيديهم.

ك. إن بين يديّ الساعة أهوالا: أي قدامها.

ل. يد الرجل: جماعة قومه وأنصاره[1].

تؤكّد هذه الأمثلة كلّها مقولة بيير جيرو: "تتفق اللسانيات المعاصرة حول نقطة على الأقل، وتكمن هذه في اعتبار أن الكلمات لا معنى لها، وأن ليس لها إلا وظائفها، وهذا يعني أن علاقات الكلمة ضمن الخطاب مع الكلمات الأخرى في السلسة الكلامية هي التي تحدد معنى الكلمة، ولا معنى للكلمة خارج الخطاب"[2]

2- 4. السياق العاطفي:

"وهو السياق الذي يتولى الكشف عن المعنى الوجداني (emotive meaning)، والذي قد يختلف من شخص لآخر"[3]، وهذا النوع من السياق يحدِّد درجة الانفعال في الصيغة اللغوية ومدى قوتها أو ضعفها، "فمثلا كلمة (love) الإنجليزية غير كلمة (like) رغم

---

[1] ينظر د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص70.

[2] بيير جيرو: علم الدلالة ترجمة منذر العياشي ص157.

[3] د.محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري ص84 نقلا عن د.فريد عوض حيدر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ص159.

اشتراكهما في أصل المعنى وهو الحب، وكلمة يكره في العربية غير كلمة يبغض رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك"[1]، وكذلك قُتل واغتِيل وغيرها.

3- 4. سياق الموقف أو المقام:

"وهو يعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة فتتغير دلالتها تبعاً لتغير الموقف أو المقام"[2]، فدلالة يرحمك الله في حال تشميت العاطس تختلف عن دلالتها في حال التعزية.

4- 4. السياق الثقافي:

ونعني به "القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، إذ تأخذ ضمنه دلالة معينة"[3]، فالدلالات تتغيّر تبعا للفئة الاجتماعية أو الثقافية التي ينتمي إليها المتكلّم، فيطلق على زوجة الرجل مثلا حرَمُه وعقيلتُه وقرينتُه وامرأتُه... وخلف كل اسم من هذه الأسماء مرجعيةٌ ثقافية تدل على طبقة مستخدم اللغة، ومثال ذلك أيضا كلمة جذر التي تعني بالنسبة لعالم الرياضيات معنى غير الذي تعنيه

---

[1] د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص71.

[2] د.عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه ص93.

[3] المرجع السابق ص93.

للمزارع، واحترام هذه المحددات الثقافية ضروري في عملية التواصل، ويمثّل تجاهلُها أكبرَ عائق أمام تعلّم اللغات، فلكل لغة خصوصية ثقافية تمنع الترجمة الحرفية وتدعو إلى الترجمة السياقية، ففلان يشرب الدخان مثلا لا يمكن أن نترجمها إلى لغة أخرى بشكل حرفي ما لم نحترم السياق، وكذلك الشأن بالنسبة لكلمة (pomme de terre) وهي بطاطا بالفرنسية فإن لم يتم وضع السياق الثقافي الذي نشأت فيه اللفظة في الحسبان وجدنا أنفسنا أمام دلالة مشوهة (تفاح الأرض).

5.نظرية الحقول الدلالية:

تعتبر نظرية الحقول الدلالية من أهم نظريات علم الدلالة لأنها استوحت مفاهيمها ومرجعيتها من اللسانيات بخلاف العديد من النظريات الأخرى، فقد تنبّه بعض علماء اللسان إلى أهمية تصنيف مفردات اللغة ضمن علاقات محددة تربطها، ومنهم دوسوسير الذي تحدّث في باب العلاقات الترابطية (les rapports associatifs) عن نوعين من العلاقات تنتظم عبرهما المفردات:

1.علاقة مبنية على معايير صورية مثل كلمة "تعليم" توحي بكلمات أخرى مشتقة منها وتنتمي إلى نفس مجالها الدلالي مثل: علم، نعلم.

2.علاقة مبنية على المعايير الدلالية فكلمة "تعليم" توحي بكلمات أخرى مثل: تربية، تعلم، تكوين[1].

فدوسوسير رأى أن اللفظة بإمكانها أن تكون جزءاً من نظام اشتقاقي يضم ألفاظا أخرى تنتمي إلى نفس مادتها، أو إلى نظام دلالي سِمتُه أنه يجمع المفردات ذات الرابط الدلالي الواحد، وهذا كله يعتبر إشارة مبكرة للحقول الدلالية، يقول بيير جيرو: "لم يملك سوسير الوقت كي يطور هذا المفهوم أي شبكة المشتركات، ومع ذلك فقد كانت تلوح الفكرة في الأفق"[2].

والفكرة هي تطوير شبكة العلاقات للوصول بها إلى مفهوم الحقل الدلالي (Champ Sémantique)، "والحقل الدلالي مجموعة من مفردات اللغة تربطها علاقات دلالية تشترك جميعا في التعبير عن معنى عام يعد قاسما مشتركا بينها جميعا، مثل الكلمات الدالة على الألوان، والكلمات الدالة على الآلات الزراعية، والكلمات الدالة على النبات، أو الكلمات الدالة على الأفكار والتصورات"[3]، وتهدف نظرية الحقول الدلالية إلى "جمع كل الكلمات التي تخص

---

[1] Cours de linguistiques générale f. de Saussure p 150-151.

[2] بيير جيرو: علم الدلالة ص131.

[3] د.فريد عوض حيدر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ص174.

حقلا معينا والكشف صلات الواحدة منها بالأخرى، وصلاتها بالمصطلح العام، أو بالمعنى العام الذي تتضوي تحته الكلمات"[1].

ومن أهم المبادئ التي تتمحور حولها نظرية الحقول الدلالية:

1. لا وحدة معجمية(Lexème)عضو في أكثر من حقل.
2. لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معيّن.
3. لا يصح إغفال السياق الذي ترِد فيه الكلمة.
4. استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي[2].

وتولي نظرية الحقول الدلالية أهمية كبرى لتصنيف المفردات ضمن مجالات عامة، تعكس طريقة انتظامها في العالم، وهي تسعى لوضع تصنيف يكون عالميا يحظى بالمصداقية والشمول، "ولعلّ أشمل التصنيفات التي قدّمت حتى الآن وأكثرها منطقية التصنيف الذي اقترحه معجم (Greek New Testament)، ويقوم على الأقسام الأربعة الرئيسية:

1. الموجودات. 2. الأحداث. 3. المجردات. 4. العلاقات.

وتحت كلّ قسم نجد أقساما أصغر، ثمّ يقسّم كلّ قسم

[1] المرجع السابق ص175.
[2] د.أحمد مختار عمر : علم الدلالة ص80.

أقسام فرعية.. وهكذا"[1]، أما أولمان (Ullmann) فإنه صنّف الحقول الدلالية باعتبار ما تحيل عليه مفرداتها من مدلولات حسية أو تجريدية، وحصرها في ثلاثة حقول:

1. الحقول المحسوسة المتصلة كالتي تشتمل على الألوان.
2. الحقول المحسوسة المنفصلة مثل نظام العلاقات الأُسرية.
3. الحقول التجريدية وهي تضم الألفاظ الدالة على الأفكار المجردة2.

ويشدد أصحاب نظرية الحقول الدلالية على أهمية العلاقات التي تنتظم عبرها الوحدات المعجمية، فخلصوا إلى خمس علاقات تسيطر على كل الحقول الدلالية3:

1.الترادف: يتحقق الترادف حين يوجد تضمن من الجانبين يكون (أ) و(ب) مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب) ، و(ب) يتضمن (أ) كما في كلمة "أم" و"والدة.

2.الاشتمال أو التضمن: تختلف هذه العلاقة عن علاقة الترادف في أنه تضمن من طرف واحد يكون (أ) مشتملاً على (ب) حين يكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي

---

[1] المرجع السابق ص87.

[2] S.Ullman meaning and style p. 27-31 نقلا عن السابق ص107.

[3] تنظر هذه العلاقات في السابق ص 98 وما بعدها.

(Taxonomic) مثل "فرس" الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى "حيوان" وعلى هذا فمعنى "فرس" يتضمن معنى "حيوان".

3.علاقة الجزء بالكل: مثل علاقة اليد بالجسم، والعجلة بالسيارة.

4.التضاد: وهو أنواع منها **التضاد الحاد** مثل: ميت- حي، ذكر- أنثى، **والتضاد المتدرّج** مثل: غال –دافئ- مائل للبرودة –بارد –قارس- متجمد

5.التنافر: هو عدم التضمّن بين طرفين، مثل العلاقة بين الألوان (ما عدا الأبيض والأسود) كالعلاقة بين الأزرق والأصفر، ومنه علاقة الرتبة مثل ملازم، رائد، مقدّم، عقيد، عميد، لواء.. فهذه الألفاظ متنافرة، لأن قولنا محمد رائدٌ يعني أنه ليس مقدّما ولا ملازما ولا...

الحقول اللغوية في التراث العربي:

مع أن نظرية الحقول الدلالية تنسب للجهود اللسانية الغربية، إلا أن في التراث العربي الكثيرَ من الدراسات اللغوية التي يمكن اعتبارها سبقا عربيا في تصنيف الدلالات بما يتطابق أو يكاد مع

نظرية الحقول الدلالية الحديثة هدفًا ومنهجًا، فلقد استطاع اللغويون العرب في مرحلة مبكرة جدا من تاريخهم أن يتوصّلوا إلى جمع ذخيرتهم اللغوية في مدونات وفق المضامين التي تشير إليها، قبل أن يقوم بهذا العمل علماء اللغة الغربيون بقرون، وقد بدأت الجهود العربية في شكل رسائل مفردةٍ أوّلا ثم مؤلفاتٍ جامعةٍ أخيرا.

ومن الرسائل ذات الحقل الدلالي الواحد أو الموضوع الواحد كتاب "خلق الإنسان" للأصمعي، و"الخيل" لأبي عبيدة معمر بن المُثنى، و"النحل والعسل" لأبي عمرو الشيباني، ولابن دريد كتاب "المقصور والممدود" تقوم العلاقات بين وحداته على قاعدة صرفية صوتية، يمكن توضيحها بالشكل الآتي[1]:

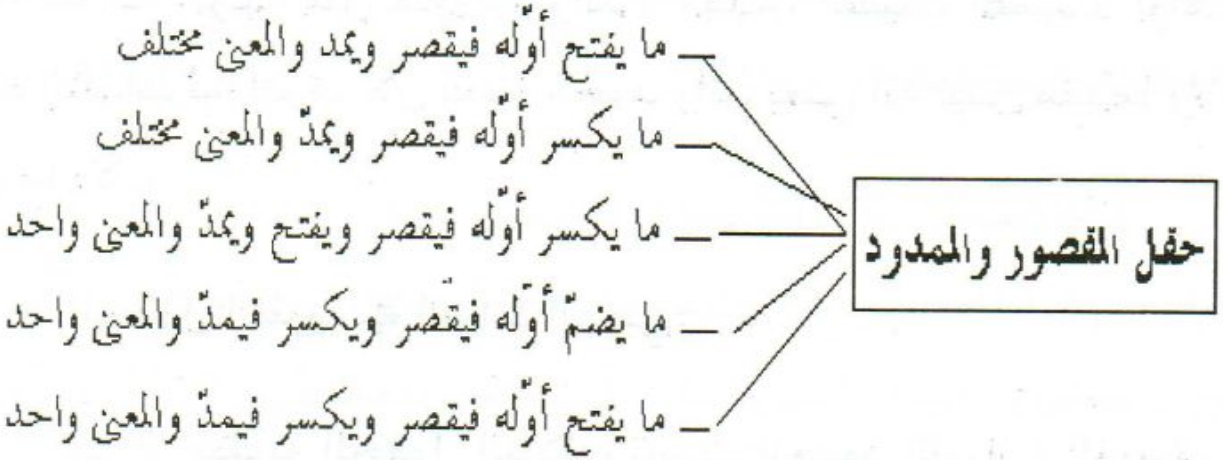

أما المدونات الكبرى التي اعتنت بتصنيف المادة اللغوية وفق

[1] د. أحمد حساني: مباحث في اللسانيات ص169.

الحقل الذي تنتمي إليه أو معاجم المعاني كما كان يطلق عليها، فإنها تمثل ذروة التفوق العربي، إذ استطاع علماء اللغة العرب أن يحوّلوا تلك المعاجم إلى موسوعات تضم الذخيرة اللغوية بشكل منظم، بحيث يسهل على الباحث عن موضوع ما أن يلجأ إلى تلك المدونات فيجد مراده بكل سهولة ويسر، من دون أن يلجأ إلى معاجم الألفاظ التي تفرض عليه أن يبحث عن كل لفظ على حدةٍ، ومن هاته المصنفات كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني (320هـ) وفقه اللغة للثعالبي (429هـ) والمخصص لابن سِيدَه (458هـ) هذا الذي يعتبر أضخم معاجم الموضوعات، وقد توزعت مادته عبر كتب شاملة تتقسم بدورها إلى أبواب "ومن أمثلة ذلك: كتاب خلق الإنسان، كتاب الغرائز، كتاب النساء، كتاب الغنم، كتاب الطعام، كتاب السلاح كتاب الخيل، كتاب الإبل..."[1]

ومع أن "أدب الكاتب" لابن قتيبة الدينوري (276هـ) ليس معجما بالمعنى الاصطلاحي للمعجم، إلا أنه يقدّم مادة لغوية ومعرفية ثرية للأديب إصلاحا للسانه وتعميقا لثقافته، فجاء كتابه موزعا على أربعة كتب: كتاب المعرفة، وكتاب تقويم اليد، وكتاب تقويم اللسان، وكتاب الأبنية، فيقول مثلا في كتاب المعرفة في

[1] د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ص109.

(باب إناث ما شُهِر منه من الذكور):

- "الأنثى من **الذئاب**: سِلْقَة وذئبة.
- الأنثى من **الثعالب**: ثُرْمُلة وثعلبة.
- الأنثى من **الوعول**: أُرْوِيةٌ..
- الأنثى من **القرود**: قِشَّة وقردة.
- الأنثى من **الأرانب**: عِكْرِشة.
- الأنثى من **العِقبان**: لَقْوَة.
- الأنثى من **الأسود**: لَبُؤة بضمّ الباء وبالهمزة..."[1].

6.النظرية التوليدية:

تعتبر النظرية التوليدية للأمريكي نعوم تشومسكي إحدى أهم النظريات الدلالية المعاصرة، فقد استطاعت أن تقدّم التحليل المفهومي للوحدات الكلامية بوصفه بديلا عن التحليل التوزيعي الذي قامت عليه النظريات السابقة، متخذة العقل والتأمل مرتكزا لها، يقول بيير جيرو: "إن المدرسةَ الجديدة مدرسةٌ استنتاجيةٌ وعقلانيةٌ وذهنيةٌ في خطواتها، إنها تولي بناء النماذج الاستنتاجية أهميةً وتعطيها الأولوية على التحليل الشامل للجداول، وتستعيد مفهوم

[1] ابن قتيبة: أدب الكاتب ص84-85.

المعنى"[1] الذي تراجع في ظل هيمنة النظريات الوضعية التي تدعو إلى التجريب التطبيقي وهو ما "يؤدي بنا في رأي تشومسكي إلى استبعاد جانب كبير من معارفنا اللغوية التي اهتدينا إليها بالحدس والاستبطان"[2].

وتتلخص وجهة نظر التوليدية في ثنائية الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي (compétence/ performance)، فالكفاءة اللغوية أو المعرفة الضمنية للغة هي التي تتيح للمتكلّم إنتاج الدلالات واستيعابها وتخزينها، فهي توفر قواعد تنظيمية ذهنية في عقل المتكلم تمكنه من إنتاج ما شاء من الجمل، فالأداء اللغوي يمثل ظاهرة الخطاب في النظرية التوليدية، والكفاءة اللغوية تمثل حقيقة الخطاب، في استعادة لمقولة أفلاطون القائلة بوجود صورتين للعالم إحداهما ظاهرة مدركة حسيا، والأخرى مثالية تدرك بالعقل[3]، ويمكن تمثيل ذلك عبر إعادة كتابة الجملة (كتب الرجل الرسالة إلى الأستاذ بالأمس) من خلال هذا المشجّر[4]:

---

1 بيير جيرو: علم الدلالة ص166.

2 د.صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبي ص98.

3 ينظر د.عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه ص99.

4 ج= جملة، ش ج= شبه جملة، ر ف= ركن فعلي، رأ= ركن اسمي، ف= فعل، تعر= تعريف.

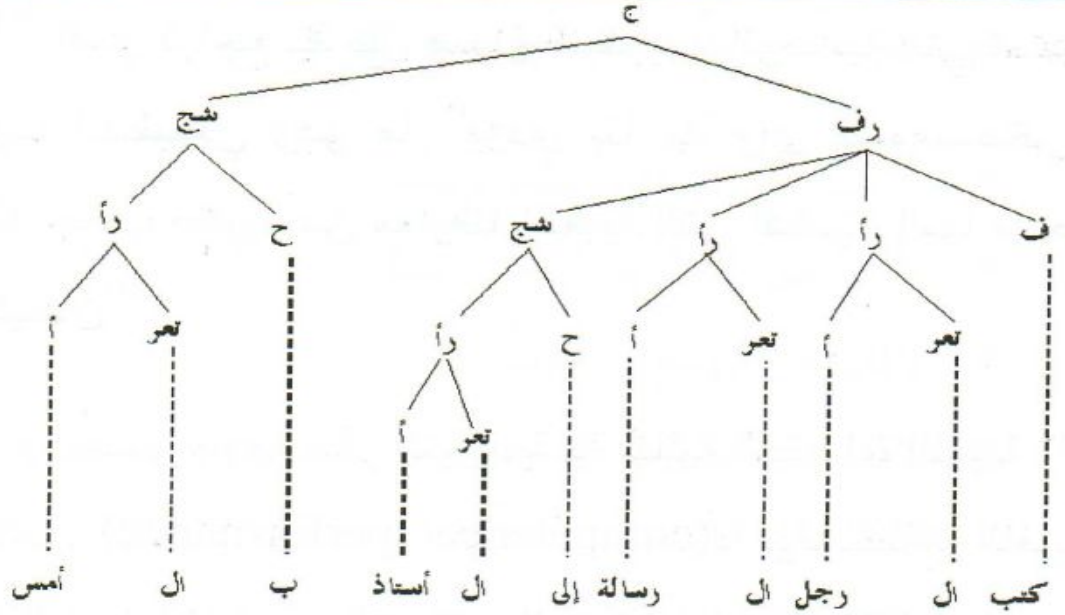

فالجانب المرمّز في هذا المشجر يمثل المعرفة القواعدية الضمنية التي يمتلكها المتكلّم (الكفاءة)، أما الجملة: كتب الرجل الرسالة إلى الأستاذ بالأمس فتمثل جانب الأداء.

وفي مقابل الكفاءة والأداء يعترف تشومسكي بوجود بينيتين للصيغة الكلامية وهما البنية السطحية والبنية العميقة، وإدراك الدلالة عند التوليديين يقتضي اختراق مستوى البنية السطحية في اتجاه البنية العميقة التي تعد بنية ضمنية غير ظاهرة في الكلام، و"ترتبط البنية العميقة بالدلالات اللغوية، أي أنها تحدد التفسير الدلالي للجمل، في حين ترتبط البنية السطحية بالأصوات اللغوية

المتتابعة وتحدد التفسير الصوتي للجمل"[1]، ويعبّر بيير جيرو عن هذه الثنائية بالقول: "لقد أخذ علم الدلالة الجديد على عاتقه أن يعيد بناء نسق المعاني، وذلك لأن الكلمة على مستوى الدال عبارة عن صرة من الأصوات.. فلِمَ لا تكون على مستوى المعنى صرة من الوحدات البدائية للمعنى"[2].

تدعو التوليدية إذن إلى عدم الاقتصار على البنية السطحية بوصفها مظهرا صوتيا، وإنما إلى الوصول للبنية العميقة في سبيل كشف القواعد الذهنية التي تنتظمها، ويوضّح تشومسكي هذا الرأي بالمثال التالي:

1.خلق اللّه غيرُ المنظور العالمَ المنظور

فيلاحظ أن هذه الجملة محوّلة من ثلاث جمل أخرى تحولا يتمّ في الذهن وليس في الواقع:

2.خلق اللّه العالم.

3.اللّه غير منظور.

---

[1] د.رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص ص206 (مصطلح بنية).

[2] بيير جيرو: علم الدلالة ص166-167.

4.العالم منظور.

ويعتبر أن الجملة (1) تعود إلى البنية السطحية وتتكون من الجمل (2)، (3)، (4) التي تعود إلى البنية العميقة، ويؤكد أن البنية العميقة لا تظهر في الكلام إلا أنها ضرورية لإعطاء التفسير الدلالي المطلوب.

7.النظرية التحليلية:

لقد استطاع الأمريكيان كاتز وفودور (Jerrold Katz-Jerry Fodor) وهما تلميذان لتشومسكي أن يقدما طريقة مغايرة في التعاطي مع المعنى تقوم على ثلاثة محدّدات في التحليل تتجه من العام نحو الخاص، وتتمثل في المحدد النحوي، ثم المحدد الدلالي وانتهاءً بالمميز، وطبقا نظريتهما على كلمة (Bachelier) التي يقصد بها:

1.فارس صغير يخدم تحت فارس آخر.

2.الرجل الأعزب.

3.حيوان بحري معيّن بدون أنثاه خلال فترة الإخصاب.

وقاما بتمثيل هذه المعاني في المشجّر التالي:

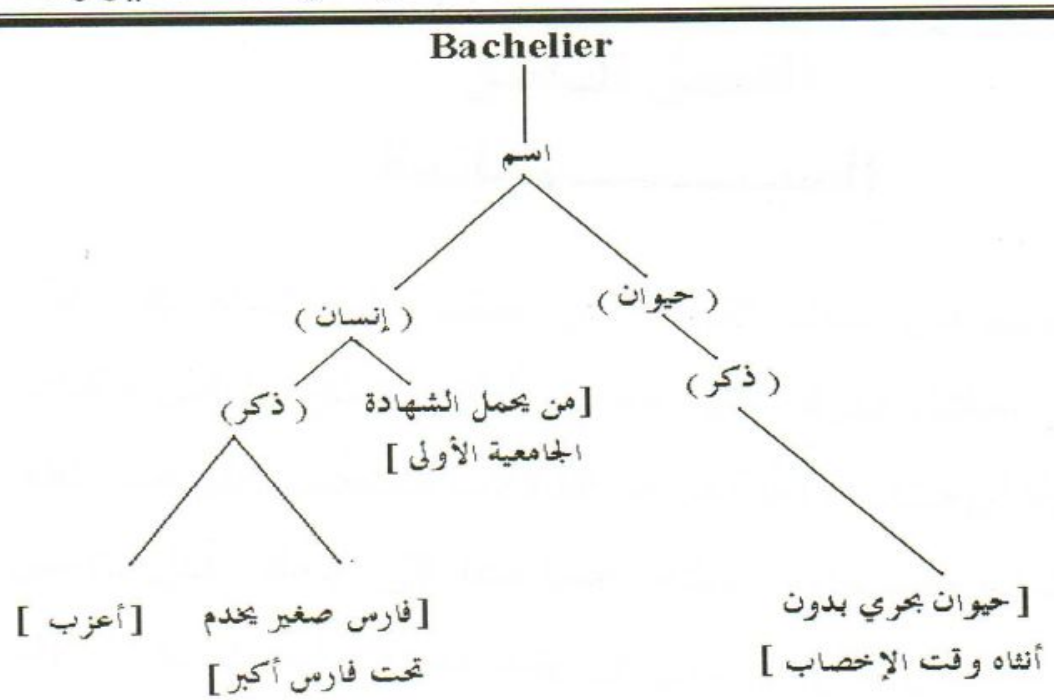

فالمحدد النحوي يختص بالبيانات الوظيفية للمفردة مثل اسم، حرف.. وهو ما كان خارج الأقواس في المشجر السالف.

أما المحدد الدلالي فإنه مقولات عامة مشتركة بين كثير من الوحدات المعجمية من الناحية الدلالية مثل (إنساني) (حي) (ذكر) (أنثى)، وهو مسجّل بين قوسين في المشجّر.

أما المميّز فنعني به العناصر النهائية التي تشير إلى حدود الوحدة المعجمية بحيث لا تشترك معها في ذلك وحدة أخرى، ويوضع بين قوسين معقوفين كما الشكل أعلاه[1].

[1] ينظر د.رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي ص**165** مصطلح علم الدلالة.

الفصل الثامن:
السيـــــــميائية

بالرغم من النتائج المهمة التي حققها علم الدلالة في مجال المعنى من خلال قدرته على معرفة قوانين تطور المعاني وآليات إنتاجها.. إلا أن هناك جانبا آخر من الدلالات استعصى على هذا العلم لقصور آلياته واستفاده غاياته، مما دعا إلى إيجاد بديل يتوخى الدلالات بشكل عام من دون أن يقيّد نفسه بالبحث في الدلالة اللسانية، فاهتدى إلى ذلك عالم اللسانيات دوسوسير في مقولته المعروفة: "يمكننا أن نتصور علما يتخذ من صلب الحياة الاجتماعية موضوعا له، ويصبح جزءا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي من علم النفس العام، **إننا ندعوه السيميائية**، وندرس فيه كيفية تكوّن الرموز، والقوانين التي تحكمها، ولما كان هذا العلم غير موجود حتى الآن، فلا يمكننا أن نقول كيف سيصبح، لكننا نؤكد أن من حقه أن يوجد"[1]، فقد استطاع دوسوسير بعبقريته الفذة أن يتنبّأ بميلاد السيميائية، بل وكانت مبادئه اللسانية مادة لهذا العلم الوليد، يقول جان كلود كوكي (J.C.Coquet): "إذا كنا قد أكدنا على الدور الذي قام به سوسير فلأن الفضل يرجع له في تقديم

[1] Cours de linguistiques générale f. de Saussure p22.

المفاهيم العملية الأولى التي استخدمتها السيميائية: لغة/ كلام ودال/ مدلول"[1].

إن الإشارة إلى أهمية جهود دوسوسير في نشأة السيميائية لا يعني انفراده بهذا السبق العلمي، فقد عاصره فيلسوف أمريكي تعاطى مع العلامة من وجهة نظر سيميائية، وهو شارل سندرس بيرس (C.S.Pierce)، وقبلهما جميعا الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية والطب القديم مع جالينوس وهيبوقراط في سياق الحديث عن الأعراض المرضية والدلائل الجسمية، كما نلمس لذلك أثرا في الفلسفة الإسلامية عند الأصوليين والمفسرين الذين تبنوا التفسير الصوفي أو الإشاري للقرآن الكريم[2].

مفهوم السيميائية:

يتفق الدارسون على أن السيميائية تتخذ العلامات (Les Signes) موضوعا لها، ولذلك فإن أغلب تعاريفها تدور حول هذا المحور، يقول د.محمد السرغيني: "ليست السيميولوجيا غير ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيًّا كان مصدرها لغويا أو

---

[1] جان كلود كوكي: السيميائية مدرسة باريس، ترجمة د.رشيد بن مالك ص26.

[2] تنظر جذور التفكير السيميائي عند د.أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة.

سننيا أو مؤشريا"[1]، ويعرفها د.صلاح فضل: "تطلق السيميولوجيا على العلم الذي يدرس الأنظمة الرمزية في كل الإشارات الدالة وكيفية هذه الدلالة"[2]، أما د.عبد القادر عبد الجليل فيقول عنها:"العلم الذي يدرس جميع أنواع الرموز، ويبحث في أشكالها وخصائصها وطرائقها، وأساليب التعامل معها، سواء كانت لغوية أم غير لغوية"[3].

ولعلّ القارئ قد لاحظ أن السرغينيّ وصلاح فضل استخدما في تعريفيهما مصطلح السيميولوجيا، بينما الوارد في العنوان هو السيميائية، والجواب أن قضية المصطلح في الدراسات العربية من أكثر المشاكل تنغيصا على البحث والباحث معا، فقد لا يقتنع باحثٌ بمصطلح ما ثم تراه يستخدمه كما فعل الغذامي: "إني أستخدم عن كره مصطلح سيميولوجي منتظرا مولد مصطلح عربي يحلّ محلّها"[4]، أو يقتنع به لٰكنه يرى فيه تداخلا مع علم آخر، كصلاح فضل الذي اقتنع بالسيمائية وفضّل عليها السيميولوجيا[5]، واصطنع د.محمد البكري مصطلح الدلائلية لأنه "متجانس مع دال

---

[1] د.محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا ص5.
[2] د.صلاح فضل: نظرية البنائية ص297.
[3] د.عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة ص210.
[4] د.عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير ص45.
[5] د.صلاح فضل: نظرية البنائية ص297.

ومدلول ودليل وتدلال"[1]، إلى غير ذلك من المصطلحات المستخدمة في هذا الباب، والتي تمثّل إعاقة حقيقية أمام الباحثين، وإذا حاولنا أن نحصر المصطلحات الدالة على السيميائية المعرّبةَ منها أو المترجمةَ فإننا نجدها كالتالي[2]:

اسم الباحث	الترجمة	المرجع
عبد السلام بن عبد العالي عز الدين عبدو دكني محمد السرغيني	سيميولوجيا	عبد السلام المسدي: "الازدواج والمماثلة"
مازن الوعر	سميولوجيا سيميائيات	دراسات لسانية تطبيقية
عبد الملك مرتاض	سيمائية	(أ ي دراسة سيمائية تفكيكية) أو (بين السمة والسيميائية)

[1] د.محمد البكري: على هامش ترجمته مقالا لجوليا كريستيفا (الدلائلية علم و/ أو نقد للعلم) مجلة العرب والفكر العالمي العدد الأول، 1988م بيروت لبنان ص 70.

[2] الجدول من وضع د.مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيمياءوي ص 181، وقد أضفت إليه مصطلح الدلائلية.

		مجلة تجليات الحداثة.
	سيميائية- سيميوية	حوار- مجلة نزوى العُمانية.
	سيميائية - سيميولوجيا سيميوتيكا	بين السمة والسيميائية
أمنية رشيد فريال غزول سيزا قاسم	سيميوطيقا علم العلامات	عبد السلام المسدي: "الازدواج والمماثلة"
بسام بركة	سيميولوجية — سيميوطيقا- علم الرموز — علم العلامات	معجم اللسانية
حنون مبارك	سيميائيات	دروس في السيميائيات
محمد مفتاح	سيميائية	تحليل الخطاب الشعري
	سيمياء	في سيمياء الشعر

		القديم
	دليلية- دليليات سيميائيات	التشابه والاختلاف
محمد رشاد الحمزاوي	السيمانتيك الساميولوجيا	المصطلحات اللغوية
عبد السلام المسدي	العلامة علم العلامات	الأسلوبية والأسلوب
صلاح فضل	سيميولوجية سيميائية العلامات	نظرية البنائية في النقد الأدبي
نور الدين النيفر	علم العلامات علم الدلائل	فلسفة اللغة واللسانيات
عبد القادر فيدوح	الدلائلية	دلائلية النص الأدبي
الطيب البكوش	الدلائلية	مفاتيح الألسنية (كتاب مترجم)

وعدم الاستقرار على مصطلح واحد ليس خاصا بالدراسات العربية فقط، فالغربيون ينطلقون من الكلمة اليونانية (semeion) وتعني علامة، ولكنهم مختلفون في المصطلح المستخدم، ففيما يعبّر عنه الأوربيون بـ (Sémiologie)، يفضّل الناطقون بالإنجليزية (Sémiotic) تقليدا للعالم الأمريكي بيرس، مما عمّق مشكلة المصطلح عندنا أكثر؛ اعتقادا من بعض الدارسين بوجود فوارق جوهرية بين المصطلحين مما أهدر الكثير من الجهد في سبيل البحث عن تلك الفوارق، ويرى د.محمد السرغيني: "أن مصطلحي السيميولوجيا والسيميوتيقا يدلّ كل منهما على ما يدلّ عليه الآخر، لقد اختصّ الأوروبيون باستعمال المصطلح الأول، وفضّل الأمريكيون استعمال الثاني"[1].

وتتأرجح السيميائية بين كونها علما أو منهجا، فإذا اعتبرناها علما فإنها أوسع مجالا وأرحب أفقا ذلك أنها تستوعب علوما كثيرة باعتبار أن العلوم المختلفة لا تخلو من علامات دالة، وتشير جوليا كريستيفا إلى "العلاقة الخصوصية التي تربط الدلائلية [السيميائية] بالعلوم الأخرى ولا سيما اللسانيات والرياضيات والمنطق، فمنها تستقي نماذجها"[2]، ولكننا إذا تعاملنا معها بوصفها منهجا فإننا

---

[1] د.محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا ص5.

[2] جوليا كريستيفا: (الدلائلية علم و/ أو نقد للعلم) ترجمة د.محمد البكري، مجلة العرب والفكر العالمي العدد الأول، 1988م بيروت لبنان ص63.

نجدها تتحسر على نفسها شيئا فشيئا لتصبح واحدة من مناهج التحليل الأدبي التي ترتكز على اللسانيات[1]، وتذكرنا هذه المناقشة بما سبق وصرّح به دوسوسير من أن اللسانيات فرعٌ من السيميائية لأنها تتعاطى مع العلامات كافة بما فيها العلامات اللسانية، أما رولان بارت (R.Barthes) فاعتبر السيميائية فرعا من اللسانيات، "ويبرر ذلك بأن إنتاج الدلالة وتحققها في الواقع لا يمكن له أن يتم خارج النموذج اللساني، فعالم المدلولات ليس شيئا آخر إلا عالم اللغة، فالنموذج اللساني إذاً يظل طاغيا وحاضرا في أي إجراء تأويلي للأنساق غير اللسانية"[2].

العلامة:

تفترض السيميائية أن العالم تشكله منظومة متناسقة من العلامات، تخفي زخما دلاليا مستوحى من النظام السوسيولوجي والذهني والسلوكي، ولا يمكننا أن نفهم حقيقة الأشياء في ضوء السيميائية ما لم ننظر إليها على أنها أنظمة دالة، وقد تكون السيميائية أفضل من قدّم هذه النظرة إلى العلامة لكنها ليست الوحيدة في هذا المجال.

---

[1] ينظر د.عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير ص44.

[2] د..أحمد حساني: مباحث في اللسانيات ص50.

العلامة في التراث العربي:

لقد تعامل التراث الفكري العربي مع العلامة بوصفها بنية أساسية في المنظومة الثقافية العامة، وذلك في مختلف تجليات هذا التراث اللساني منه (النحو، البلاغة، المعاجم)، والديني (التفسير والأصول) والفلسفي، والميزة الأساسية لهذا الموروث الفكري الهائل هي انطلاقته من الوحي (القرآن الكريم) الذي يدعو في الكثير من آياته إلى التفكر والتدبر والتأمل للعلامات من مثل قوله تعالى: "وعَلامَات وبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ"[1]، و"إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلمُتَوَسِّمِيْنَ"[2]، و"إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[3]، وفي رحاب هذا التوجيه كان التعامل مع العلامة من أجل تفسير دلالتها الكونية والشرعية، والاستدلال بحاضرها على غائبها، فهي حقيقة حسية حاضرة تحيل إلى حقيقة مجردة غائبة.

إن العلامة في تصور الدارسين القدامى لا تخرج في مفهومها عن الدلالة فهي تعني «كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر»[4]، ويرى الغزالي أن الخلق لما كانوا مفطورين على

---

[1] سورة النحل الآية 16.

[2] سورة الحجر الآية 75.

[3] سورة الرعد الآية 4.

[4] الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق محمد علي أبي العباس ص107.

التعايش والتعارف اضطروا لأن يبتكروا تراكيب تكون علامات تمكنهم من التواصل، فقال: «لا متكلّم إلا وهو محتاج إلى نصب علامة لتعريف ما في ضميره»[1].

مفهوم العلامة:

لن يكون النظام التواصلي قادراً على تحقيق النزعة الاجتماعية للإنسان من دون العلامة، التي تعتبر العنصر الجوهري نظرا لطبيعتها الدلالية والإبلاغية، فهي عند بيرس ذات طبيعة فلسفية "شيء إذا ما عرفناه نعرف شيئا آخر"[2]، أما دوسوسير فيفسرها انطلاقا من طبيعة منهجه القائم على فكرة النظام اللساني الذي يتكون من وحدات أساسية متوافقة فيما بينها، تسمى هذه الوحدات بالعلامات اللسانية، ومن هنا فإن العلامة اللسانية في نظر دوسوسير هي وحدة النظام، وهي العنصر اللساني الذي يتكون من صورة سمعية (signifiant) ومفهوم (signifie)، أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية، مستبعدا كليا دور المرجع (référent)، ويؤكّد لوتمان ذلك بقوله: "والعلامة ذات جوهر ثنائي، فهي تتجسّد

---

[1] الغزالي: المستصفى في علم الأصول (142/1) نقلا عن د.أحمد حساني: مباحث في اللسانيات ص142.

[2] د.محمد مفتاح: المفاهيم معالم ص87.

في تعبير مادي معيّن يمنحها منظورها الشكلي، فإنها تتمتع داخل حدود لغتها بمعنى ما يكوِّن ما يسمى بمضمون تلك العلامة"[1].

والصورة السمعية - بحسب الفهم السيميولوجي- ليست الصوت المادي الفيزيائي فحسب، وإنما الدفع النفسي لهذا الصوت، أو حتى تمثلنا إياه، إذ بوسعنا أن نتحدث إلى أنفسنا أو نستظهر مقطعا شعريا من غير تحريك الشفتين واللسان.

إن السيميائية لا تهتم بالدال والمدلول في حد ذاتهما، وإنما تسلط تركيزها على المسافة الفاصلة بينهما، "هذه المسافة التي تظل باهتة لا تكشف عن معنى معيّن بل يغدو الاحتمال هو الطابع المميّز لها"[2]، وتحتاج إلى رؤية فاحصة لتحديدها، انطلاقا من تفسير العلامة ضمن النظام الذي نشأت فيه، لأن العلامة لا يمكن أن تفهم خارج البناء الكلي الذي تتواجد داخله، ولذلك شبهها دوسوسير بأحجار الشطرنج التي تتحرك فوق مساحة اللعب وفق نظام معين يؤدي إلى احتمالات متعددة، وحتى لو قمنا بتغيير إحدى أحجار اللعبة (الوزير مثلا) بأي جسم آخر فإنها لا تفقد قيمتها، لأن علاقتها بشكلها اعتباطية، والقيمة الحقيقية موجودة داخل المنظومة ككل.

---

[1] يوري لوتمان: تحليل النص الشعري، ترجمة د.محمد فتوح أحمد ص36.

[2] ملاس مختار: دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث ص16

أنواع العلامة:

لقد عرف تقسيم العلامة اضطرابا شديدا بين الدارسين السيميائيين، ومرد ذلك إلى اجتهاداتهم ورؤاهم المختلفة التي انطلقوا منها، وأكثر هذه التقسيمات شيوعا هو التقسيم الثلاثي لـ(بيرس)؛ الذي ينظر إلى العلامة باعتبار دلالتها على موضوعها:

أ.الأيقونة (Icon): هي العلامة الدالة على موضوعها عن طريق المشابهة بأن ترسمه أو تحاكيه بفضل صفات تملكها مثل الصور الفوتوغرافية والتماثيل والرسوم والبيانات والتصاميم.. ولذلك فإنها أسهل وأبسط وسائل التواصل السيميائي، لأن ميزة المماثلة فيها ظاهرة وتعكس علاقةً طبيعيةً رابطة بين الشيء وأيقونه، وليست كل الأيقونات صورا مشاهدة "ولكن هناك الصوت الذي يتناهى إلى السمع في صورة وقع، أو رائحة تنتهي إلى الأنف في غياب التعرّف إلى موضوعها الحامل لها هي إيقونات، ولا سيما أنها علامات تستند إلى مفهوم العلاقة بين تعبيرها ومحتواها"[1].

وتظهر حيوية الأيقونة وقيمتُها في قدرتها على أن تكون وسيلة اتصال وتفاهم بين الأمم والشعوب، كما هو شائع في مجالات

[1] د.أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة ص96.

كثيرة، لكن هذا لا يعني أن العلامات الأيقونية لا تحتاج إلى تفسير؛ بل يمكن توضحيها وشرحها بعلامات أخرى.

ب.**الشاهد أو القرينة** (Indice): هي علامة تدل على موضوعها من حيث هي تشير إلى وجوده، مثل دلالة الدخان على وجود النار، ودلالات النُّصب على الطريق، وقد يدل الشاهد على موضوعه بطريقة بعيدة بحيث يقوم بين الشاهد وموضوعه عدة شواهد أخرى، كأن يكون الدخان شاهدًا على وجود النار، والنار شاهدة على وجود الإنسان، والإنسان شاهد على وجود الطعام وهكذا، ولذلك ميّز (بيرس) بين نوعين من الشواهد؛ شاهد أصلي وهو ما يشير إلى موضوعه مباشرة، وشاهد منحدر وهو ما لا يشير إلى موضوعه إلا بواسطة سلسلة من الشواهد[1].

ج.**الرمز** (Symbole): "يذكر قاموس أوكسفورد (Oxford dictionary) أن الرمز عبارة عن شيء يقوم مقام آخر أو يمثّله أو يدل عليه لا بالمماثلة، وإنما بالإيحاء السريع أو بالعلاقة العرضية أو بالتواطؤ.. ويسميه موريس علامة العلامة، أي العلامة التي تنتج قصد النيابة عن علامة أخرى مرادفة لها"[2]، تقول كريستيفا: "إن الرمز لا

---

[1] ينظر ملاس مختار: دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث ص21.

[2] د.محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا ص45.

يشبه الموضوع الذي يرمز إليه، كما أن الفضاءين (الرامز والمرموز) منفصلان وغير قابلين للاتصال"[1]، وهو أفضل العلامات على الإطلاق؛ من حيث هو علامة تدل على موضوعها بالتواضع، وهذا ما منحه القدرة على الولوج إلى أعماق الأشياء، وهو ليس إشارة بسيطة كما الشاهد والأيقونة بل عنصر مهم في تحريك البنية الكلية للغة الشعرية، ومن أمثلته العلامة الرمزية صورة العذراء وشكل الصليب في الإشارة إلى المسيحية، وشكل الهلال في الإشارة إلى الإسلام.

سيميائية التواصل و سيميائية الدلالة

تعتبر السيميائية تفكيرا فلسفيا ونظرية عامة للكلام، تدرس الدلائل (العلامات) بوجه عام بما فيها الدلائل اللغوية، مما جعل دوسوسير يقر بأن اللسانيات جزء من السيميائية، ولقد مثّلت أفكار دوسوسير المنهل بالنسبة لبقية الدارسين حيث شكّلت المنطلق لظهور حركتين سيميائيتين: سيميائية التواصل (إيريك بويسنس، جورج مونان) وسيميائية الدلالة (بارث، غريماص، إيكو).

سيميائية التواصل:

ظهرت على يد الباحث إيريك بويسنس الذي نشر سنة **1943**

[1] جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي 23.

كتابا تعرّض فيه للسانيات الوظيفية في إطار السيميائية، ويرى أنصار هذا التوجه أن الوظيفة الأساسية للسان هي التواصل، يقول د.عز الدين مناصرة: "هذا التواصل مشروط بالقصدية وإرادة المتكلّم في التأثير على الغير، إذ لا يمكن للدليل أن يكون أداة التواصلية القصدية، ما لم تشترط التواصلية الواعية"[1].

إن سيميولوجيا التواصل لا تلتفت إلى التمظهرات البسيطة للعلامات، والتي تخلو من القصد، والتي يتمّ إدراكها بصفة تلقائية، كالدخان علامة على النار، أما إذا أخذ الدخان شكلاً مميزاً كما عند الهنود الحمر مثلا أو لوناً ملفتاً في الحروب ساعتها يتلبّس بدلالة قصدية لأنه يوحي بمعنى متواضع عليه بين المرسِل والمرسَل إليه.

إن أصحاب هذا التوجه يحصرون السيميائية في دراسة أنساق العلامات ذات الوظيفة التواصلية، فالسمة عند هؤلاء أمر يُقصد من ورائه الاتصال بشخص ما أو إعلامه بشيء ما، مما يضيق حقل السّمة ويتراجع به إلى نطاق المواضعة الواعية، وتقوم أبحاث أصحاب هذا التوجه على محورين محور التواصل ومحور العلامة، فالأول ينقسم إلى تواصل لساني وتواصل غير لساني، والثاني يتفرّع إلى ثلاثة أقسام أيقونة ورمز وإشارة.

---

[1] د.عز الدين مناصرة: مقدمة كتاب رشيد بن مالك السيميائية أصولها وقواعدها ص31.

أولا: محور التواصل:

1.التواصل اللساني:

يتأسس التواصل اللساني على فعل الكلام بين طرفين أو أكثر، من خلال انتقال الدلالة من الباث إلى المتلقي، ذلك أن اللغة أداةٌ تُوظف لإتمام عملية التواصل بين الإنسان وباقي أفراد بيئته، بالرغم من أن التواصل ليس الوظيفة الوحيدة للغة إلا أنه السمة الأبرز والأساس، ويقتضي التواصل اللغوي نقل الدلالات والمعاني بواسطة الأصوات، ولعملية التواصل قدر من الخطورة في حال انتقال الدلالات من الباث إلى المتلقي، إذ تنتقل من جوّ ثقافي معين إلى جوّ آخر محكوم بشروط ذهنية وسيكولوجية ومعرفية مما يجعل الدلالة خلال سيرورتها تنتج دلالات جديدة مناقضة أو متممة أو مقلّصة للدلالة الأولى.

لقد سبق "لدوسوسير"، أن عرّف التواصل اللساني على أنه حدث اجتماعي، مبني على التفاهم بين طرفين أو أكثر إذ ترتبط الصورة السمعية بالمفهوم مثيرة في النفس فكرة ما ، ويؤكد على أن الدليل اللساني مرتبط الجانب النفسي (الإدراك، درجة الانتباه) مما يزيد حاسة التقبل حدة أو فتورا.

وحاول "بلومفيلد" عبر حديث (جاك) و(جيل) أن يشرح دائرة الكلام انطلاقاً من حالة فيزيولوجية تنتاب (جيل) عند رؤيتها التفاحة، فتشعر بالجوع فتعبّر عنه صوتياً، ويتحرك (جاك) لقطف التفاحة وتقديمها للفتاة، ودائرة التواصل من هذا المنحى سلوكية بحتة، تتوزع على ثلاث لحظات:

أ.وضعية قبل الكلام.

ب. كلام.

ج. وضعية بعد الكلام.

"وهكذا فكلّ الروابط التي تربط بين اللحظات الثلاث السابقة الذكر.. أي روابط المنطوق المتفوّه به في لحظة الباء وملخّص لحظتي الألف والجيم، مجموع كل ذلك يسمى معنى"[1].

2.التواصل غير اللساني:

هو دون التواصل اللساني وأدواته الألوان والرسوم والأشكال الهندسية وغيرها، ويصنفه إيريك بويسنس إلى ثلاثة معايير:

- معيار الإشارات النسقية: وهي علامات دائمة وثابتة مثل إشارات المرور.

[1] د.محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا ص33.

- معيار الإشارات اللانسقية: وهي علامات غير دائمة ولا ثابتة الملصقات الإشهارية.
- معيار الإشارات التي لمعنى مؤشرها علاقةٌ بشكلها: كصور البضائع على واجهات المحلات.

ثانيا: محور العلامة:

إن فهم رواد الاتجاه التواصلي للعلامة يحدد خطورتها فلا يبقيها في دائرة التنوع اللانهائي، نظرا لأنهم يشترطون القصد والوعي وأشهر تقسيماتها: أيقونة، ومؤشرا، ورمزاً، وقد سبق الحديث عن هذه الأنواع الثلاثة.

سيميائية الدلالة:

"يسجّل أنصار سيميولوجيا الدلالة وفي مقدمتهم بارت أن اللغة لا تستنفد كل إمكانيات التواصل، فنحن نتواصل توفرت القصدية أم لم تتوفر، بكلّ الأشياء الطبيعية والثقافية سواء أكانت اعتباطية أم غير اعتباطية"[1]، فالتواصل يتحقق عبر علاقة تربط العلامة بالمتلقي، مما يمثّل لحظة انكشاف الدلالة، ويسمح للقارئ بالتعرف على محتوى العلامة التي تصرّح بمدلولها الأولي، لتمكّنه في مراحل

[1] د. د.عز الدين مناصرة: مقدمة كتاب رشيد بن مالك السيميائية أصولها وقواعدها ص32.

تالية من كافة أسرارها، ومن هنا نصل إلى مستويين دلاليين تميّز بينهما السيميائية، أما أحدهما فيكتفي بإنتاج وحدات ذات طبيعة تعيينية، والآخر يدل على قيم مضافة على المعنى الأولي، ويطلق على المستوى الأول التقرير (dénotation) وعلى المستوى الثاني الإيحاء (connotation)، وعبر هذه الثنائية تتحقق أدبية النص، يقول بارت "يمكن تعريف الأدب من خلال مصطلحات الاتصال بأنه نظام مزدوج، مطابق وإيحائي معا"[1].

فـ(الأهالي) مثلا تعني السكان الأصليين في الجزائر، ولكن مع وجود الحدث الاستعماري نلاحظ أن الأهالي شحنت بمعاني إضافية ذات لون عنصري، فالفرنسيون مثلا لا يقبلون أن يُلقبوا بالأهالي، واستناداً إلى بارت ومدرسة سيميولوجيا المعاني يمكن أن يأخذ هذا المثال الشكل التالي[2]:

دال+مدلول أهالي+ [سكان أصليون]	
دليل1 (المعنى التقريري) دال	مدلول "سكان المستعمرات"

[1] رولان بارت وآخرون: اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي ص55.

[2] ينظر قاموس د.رشيد بن مالك: مصطلحات التحليل السيميائي ص173-174.

دليل2

(المعنى الإيحائي)

فالتقرير من زاوية لسانية هو تحديد مجموع الوحدات ذات الطابع التعريفي البحت، وبهذا المعنى فإن التقرير يُنظر إليه باعتباره معنى أساسيا داخل الواقعة الإبلاغية، فلا يمكن للتواصل أن يتم في غياب وحدات تقريرية صريحة، وهو أمر يعد نقيضا للحالة التي يعينها الإيحاء، فالإيحاء على العكس من ذلك، يتشكل من وحدات "عرضية" و"خجولة" و"محتشمة"، عادة ما يُنظر إليها باعتبارها قيما ثانوية لا تدرك إلا بعد استحضار النص الثقافي الذي تستعمل داخله.

استنادا إلى هذا التمييز وجب الإقرار صراحة بعدم وجود ظاهرة تدل من خلال مستوى واحد، وفي هذه الحالة يستحيل الحديث عن معنى واحد ووحيد، لأن ذلك مناف لطبيعة المعنى ذاته، فتصور مدلول نهائي كلي وثابت يسير في الاتجاه المعاكس للمعنى مستحيل كما يقول بارت، ومن ثمّ تجد الدراسة السيميائية نفسها مدفوعة دفعا إلى التأويل، الذي يقود الدارس من المعنى الأصلي المشترك إلى معاني أخرى موغلة في الخصوصية، ولا يتأتى فعل التأويل دون الاستعانة بعلوم أخرى مجاورة تساعد عليه، ذلك أن

السيميولوجيا بمعزل عن نظرية اجتماعية انثروبولوجية وسيكولوجية، وصف ساذج خال من كل قوة شارحة كما تقول جوليا كريستيفا.

ومن هذا المنطلق فإن التقرير يشكل، بعبارات بسيطة الحد الأدنى من الدلالة الذي يصبح المنطلق نحو تحديد الأشكال الدلالية الثانوية والعرضية. إن هذا الأمر لا يتعلق فقط باللسان وقوانينه، إنه يشمل كل الظواهر الأخرى، كالإيماءات الجسدية والصور ومجمل الموضوعات التي تشكّل العالم. إن المعاني الثانية (الإيحائية) هي قيم إضافية تمنح للوحدات اللسانية، إنها بمثابة محميات دلالية نهرع إليها كلما حاصرتنا الحياة بمقتضياتها النفعية الجافة والروتينية.

الخاتمة:

وبعد هذه الدراسة لأهم جوانب علم الدلالة النظرية والتطبيقية على مستوى التأصيل أو التفصيل، فإنني أرى أنّ من الحكمة التذكيرَ بأهم نتائج البحث، حتى تكون الخاتمة رصدا لعصارة البحث وزبدته، مع أنني أجد نفسي مترددا في فعل ذلك لأني أعتقد - بعد فراغي من تسويد هذه الصفحات- أن لا حق لي في تحديد الأهم من المهم في هذا الكتاب، فذلك في رأيي من شأن القارئ، الذي لا نملك حق الوصاية عليه، ولكن العادة - قبّحها الله- أو المنهج بالتعبير المهذب تدفعني إلى فعل ما أكره والله المستعان.

إن علم الدلالة بالرغم من نشأته المتأخرة إلا أن التفكير في قضاياه الأساسية قد بدأ منذ نشأة اللغة، لأن اكتشاف المعنى والتطلّع إليه جزء من فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، يستحيل أن تتأخر إلى أن تفطن إليها اللسانيات المعاصرة، صحيحٌ أن التفكير البدائي ليس كالتفكير العلمي المنهج، ولكننا يجب أن نعترف في الوقت عينِه أن للعلم أسئلة يتناسل بعضها من بعض، إلى أن نصل إلى الأسئلة "المخاضية" الكبرى التي قد تنشأ عنها بعض العلوم المفصلية، وربما هذا ما حصل بالنسبة إلى اللسانيات وعلم الدلالة على وجه التحديد.

لقد كان للعرب إسهام مهم جدا في البحث الدلالي عبر تاريخهم القديم، تجلّى في جهود اللغويين والمفسرين والمناطقة والأصوليين.. وقد مثّلت تلك الجهود قفزة متقدمة جدا مقارنة بالقضايا التي تمت مناقشتها وطبيعة الأسئلة التي تم الخوض فيها، بل إن بعض العلماء العرب كان سابق عصره وحداثيا أكثر من بعض المعاصرين، فالجرجاني مثلا قد ناقش منذ ألف عام تقريبا الدلالة التقريرية والدلالة الإيحائية أو المعنى ومعنى المعنى كما عبّر هو عن ذلك، وتحدّث عن اعتباطية الدليل اللساني بشكل مبهر، معتمدا على الاستقراء والاستدلال والتمثيل كما بيّنا ذلك في قضية ارتباط الصوت بالمعنى، بل إن بعض النظريات الغربية التي اعتُبرت من بين النظريات الأكثر أهمية في الدرس الدلالي المعاصر كنظرية الحقول الدلالية مثلا، قد طرقها البحث اللغوي القديم عند العرب تحت مسمى معاجم الموضوعات، بشكل لا تنقصه الدقة والموضوعية المطلوبتين في مثل هاته القضايا.

وتحدّث هذا البحث في بعض فصوله عن ظاهرة هي -في رأيي المتواضع- من أهم الظواهر الدلالية وهي التطور الدلالي، التي تمثّل بالفعل دينامية اللغة وقدرتها على التجدد والعطاء، فاللغة بما هي مزيج عجيب من الأمزجة والانفعالات والمواقف والأفكار والرؤى

وغيرها هي بحاجة إلى تحديث ذاتها بشكل مستمر يحفظ لها كينونتها وحقها في البقاء، فاللغة الحية هي فقط التي تستطيع مواكبة المستجدات الثقافية والاجتماعية والفكرية والعلمية فتتغيّر باستمرار بشكل يؤكد حياة الناطقين بها، وهذه الحالات من التجدد والنماء أو التقهقر والموات التي تمرّ بها اللغة استطاع علماء الدلالة أن يفكوا أسرارها التي تتمثّل في جملة من القوانين الثابتة التي تصنع تغيّر الدلالة، وهو ما تجلّى في العوامل اللغوية والعوامل النفسية والعوامل الاجتماعية والثقافية، كما أن للدلالة مظاهر تتخذها إما مغيّرة موقعها في اتجاه التعميم أو التخصيص أو الرقي أو الانحطاط أو أن تزول من الاستعمال بسبب أحد العوامل المشار إليها.

إن النظريات الدلالية الحديثة من خلال مناقشتها قضايا المعنى استطاعت أن تتقدم بالبحث الدلالي خطوات نحو العلمية، وأن تقدّم إجابات حول أسئلته الأساسية، انطلاقا من مرجعيات معرفية مختلفة عقلية أو نفسية أو لسانية، مما مثّل حالة من اختلاف التنوع الذي يشق للبحث الدلالي سبلا غير مطروقة، ومع ذلك فإن النظرية المتكاملة التي تستطيع أن تناقش كافة قضايا الدلالة، وتقدّم الإجابات الحاسمة لم توجد بعد ولا نرى أنها وشيكة، لأننا نعتقد أن البحث في الدلالات - بما هي ظواهر لا يمكن وضعها موضع

المشاهدة والتجريب لطابعها التجريدي البحت- ليس بإمكانه أن يقضي على الخلاف بشكل نهائي، بدليل أن كثيرا من الانشغالات الدلالية القديمة لم تحسم بعد، مع إقرارنا مسبقا بتفاوت مختلف النظريات في قربها أو بعدها من جوهر الحقيقة.

تمثّل السيميائية مرحلة متقدمة جدا من مراحل البحث في الدلالة، لأنها استطاعت بعبقرية واضعيها أن تتخطى العلامة اللغوية إلى العلامة مطلقا، فهي علم تمكن من تجاوز علم الدلالة عبر المحورين الأفقي والعمودي، أو بتعبير أوضح تنتشر السيميائية على مساحة أرحب من العلامات اللغوية و غير اللغوية، مما يوسّع مفهوم النسق أو النظام (système) السوسيري إلى مجالات أخرى غير مجالات اللغة التقليدية، فيتحوّل العالم برمته إلى نظام من العلامات (système des signes) الدالة.

وتتعاطى السيميائية مع هذه العلامات وفق رؤية تأويلية تخترق الدلالات السطحية إلى دلالات أعمق، أو فلنقل تتجاوز المقولات التقريرية للنص إلى مستوى الإيحاء، وفق رؤية تهتك ثنائية (الدال والمدلول)، إلى مدلولات يؤدي بعضها إلى بعض، فالدلالات من وجهة نظر سيميائية مفتوحة لا تعترف بالمعنى النهائي للنص.

وفي الأخير لا يفوتني أن أنبه على قضية قد أثرتها في بداية هذا البحث وهي أهمية علم الدلالة بوصفه المعني الأول بالبحث في القضايا الدلالية، هذا العلم الذي تأخر في الظهور بالمقارنة مع باقي العلوم اللغوية الأخرى إلا أنه في حقيقة الأمر غايتُها الأساسية، باعتبار أن كلّ تلك العلوم من نحو وصرف وبلاغة وغيرها، تبحث بشكل أو بآخر عن المعنى، فالمعنى هو الحاضر الدائم في العلوم اللسانية برمتها.

وعليّ أن أؤكد للقارئ في هذا المقام أن هذا العمل جهد مقلٍّ مزجى البضاعة، وضعته للطلبة والباحثين لعلي أكون لهم عونا في سبيل البحث في علم الدلالة، فإن وجدوا خيرا فذاك مناي، وأسأل الله أجر الاجتهاد والإصابة، وإن وجدوا غير ذلك، فأسأل الله أن يقيل عثرتي، وأن لا يحرمني مثوبة الاجتهاد.

مكتبة البحث:

1. د.إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر (د ت)
أحمد أمين: ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط10، (د ت).
2. أحمد حسن الباقوري: أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، دار المعارف، القاهرة مصر، ط4، (د ت).
3. د.أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
4. د.أحمد سليمان ياقوت: أبحاث في اللغة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية مصر، 1994م.
5. د.أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م
6. د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة مصر، ط5، 1998م.
7. د.أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1426هـ 2005م.
8. د.أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1426هـ 2005م.

9. د.بلقاسم بلعرج: من عوامل التطوّر اللغوي، مجلة بونة، العدد1، 1425هـ 2004م عنابة الجزائر.

10. بيير جيرو: علم الدلالة، ترجمة د.منذر العياشي، دار طلاس دمشق سورية ط1، 1988م.

11. د.جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان/ الدار البيضاء المغرب، ط3، 1992م.

12. جان كلود كوكي: السيميائية مدرسة باريس، ترجمة د.رشيد بن مالك، دار الغرب، وهران الجزائر، (د ت).

13. جان كوهين: بناء لغة الشعر، ترجمة د.أحمد درويش، دار المعارف، القاهرة مصر، ط3، 1993م.

14. ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة المصرية للكتاب القاهرة مصر.

15.جوليا كريستيفا: (الدلائلية علم و/ أو نقد للعلم) ترجمة د.محمد البكري، مجلة العرب والفكر العالمي العدد الأول، 1988م بيروت لبنان.

16. جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء المغرب، ط2، 1997م.

17. الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، اعتنى به د.عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ 1998م.

18. د.رابح بوحوش: البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م.

19. رشيد بن مالك: السيميائية أصولها وقواعدها، منشورات الاختلاف، الجزائر.

20. د.رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، 2000م.

21. رولان بارت وآخرون: اللغة والخطاب الأدبي، اختيار وترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان/ الدار البيضاء المغرب، ط1، 1993م.

22. رينيه ويليك- أوستين وارين: نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة د.حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، 1978م.

23. الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار الفكر بيروت لبنان (د ت).

24. سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة مصر، ط3، 1408هـ 1988م.

25. السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار مصر للطباعة (د ت).

26. السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي

المكتبة العصرية بيروت لبنان، 1408هـ 1987م.

27. الشريف الجرجاني: التعريفات، تحقيق محمد علي أبي العباس، مكتبة القرآن، القاهرة مصر، (د ت)

28. الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، (د ت).

29. د.صبحي البستاني: الصورة الشعرية في الكتابة الفنية الأصول والفروع، دار الفكر اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1986م.

30. د.صفية مطهري: الدلالة الإيحائية في الصيغة الإفرادية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سورية2003م.

31. د.صلاح الدين صالح حسنين: الدلالة والنحو، مكتبة الآداب القاهرة مصر، ط1.

32. د.صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992م

33. د.عبد الجليل منقور: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سورية2001م عبر موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت http://www.awu-dam.org

34.عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة المطبعة البهية المصرية (د ت).

35. د.عبد السلام المسدي: نظرية العرب في اكتساب اللغة، مجلة

الأقلام العدد 8 مارس 1979م بغداد العراق.

36. د.عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء للنشر، عمّان الأردن ط1 1422هـ 2002م.

37. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تعليق د.محمد ألتنجي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط2، 1417هـ 1997م.

38. د.عبد الله أحمد جاد الكريم: المعنى والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط1، 1422هـ 2002م

39. د.عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات، قصر الكتاب، البليدة الجزائر، 1989م.

40. د. فايز الداية: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د ت)

41. د.فتح الله أحمد سليمان: مدخل إلى علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة مصر، ط1، 1412هـ 1991م.

42. د.فريد عوض حيدر: علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب القاهرة مصر، 1426هـ 2005م.

43. ابن قتيبة الدينوري: أدب الكاتب، مراجعة د.درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 1423هـ 2002م.

44. ابن قدامة المقدسي: روضة الناظر وجنة المناظر، الدار السلفية، الجزائر، ط1، 1991م.

45.ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، دار الكتب العربية، بيروت لبنان.

46. د.محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1407هـ 1987م.

47.ملاس مختار: دلالة الأشياء في الشعر العربي الحديث، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م.

48. د.محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان/ الدار البيضاء المغرب، ط4، 2005م

49. د.محمد مفتاح: المفاهيم معالم، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان/ الدار البيضاء المغرب، ط1، 1999م.

50. د.مهدي أسعد عرّار: التطور الدلالي - الإشكال والأشكال والأمثال، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1424هـ 2003م.

51. د.مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيمياءوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سورية2005م عبر موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت http://www.awu-dam.org

52. ابن الناظم: شرح ألفية ابن مالك، منشورات ناصر خسرو طهران إيران، بيروت لبنان (د ت).

53. يوري لوتمان: تحليل النص الشعري، ترجمة د.محمد فتوح أحمد، دار المعارف، القاهرة مصر، (د ت)

الفهرس:

تصدير بقلم أ.د مختار حبار.....5
مقدمة:.....9
الفصل الأول: نشأة علم الدلالة: المسار التطوري التاريخي.....15
الفصل الثاني: علم الدلالة وعلوم اللغة.....31
الفصل الثالث: علم الدلالة والعلوم الإنسانية.....53
الفصل الرابع: الوحدات الدلالية.....61
الفصل الخامس: مشكلة المعنى وتعدد الدلالات.....65
الفصل السادس: التطور الدلالي.....89
الفصل السابع: نظريات التحليل الدلالي.....103
الفصل الثامن: السيميائية.....129
الخاتمة:.....151
مكتبة البحث:.....156
الفهرس:.....162

رقم الإيداع: 4800-2008
ردمك: 978-9961-794-70-8

طباعة

مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر
19 شارع السكة الحديدية/ سيدي بلعباس/ الجزائر
الهاتف والفاكس: 048 546607
الهاتف 040 411796
المحمول 073 394265